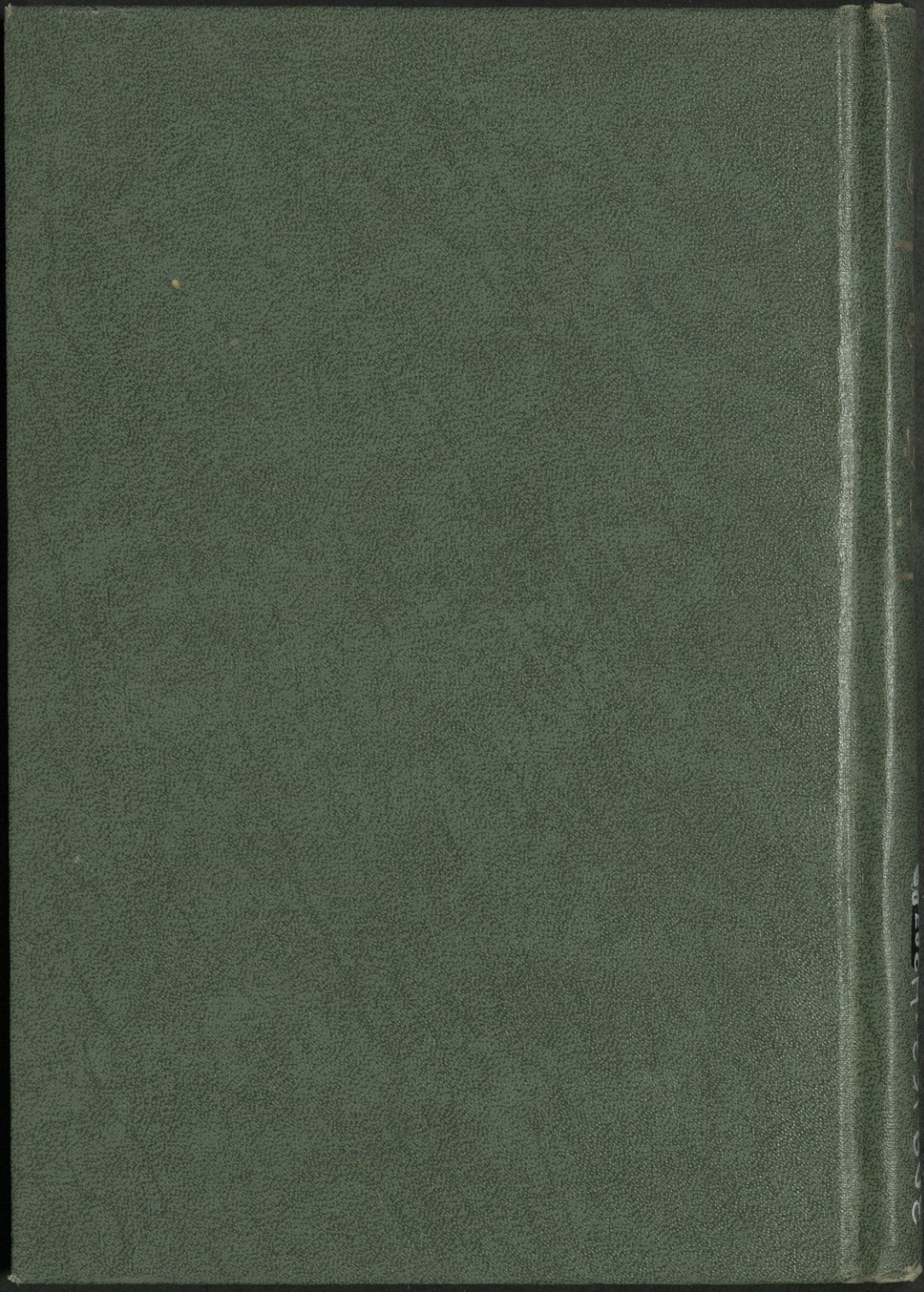
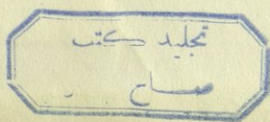






no use.

[REDACTED]

الهرميلة محمد *

لن نرجع الى الوراء ابدا *

8.8.6

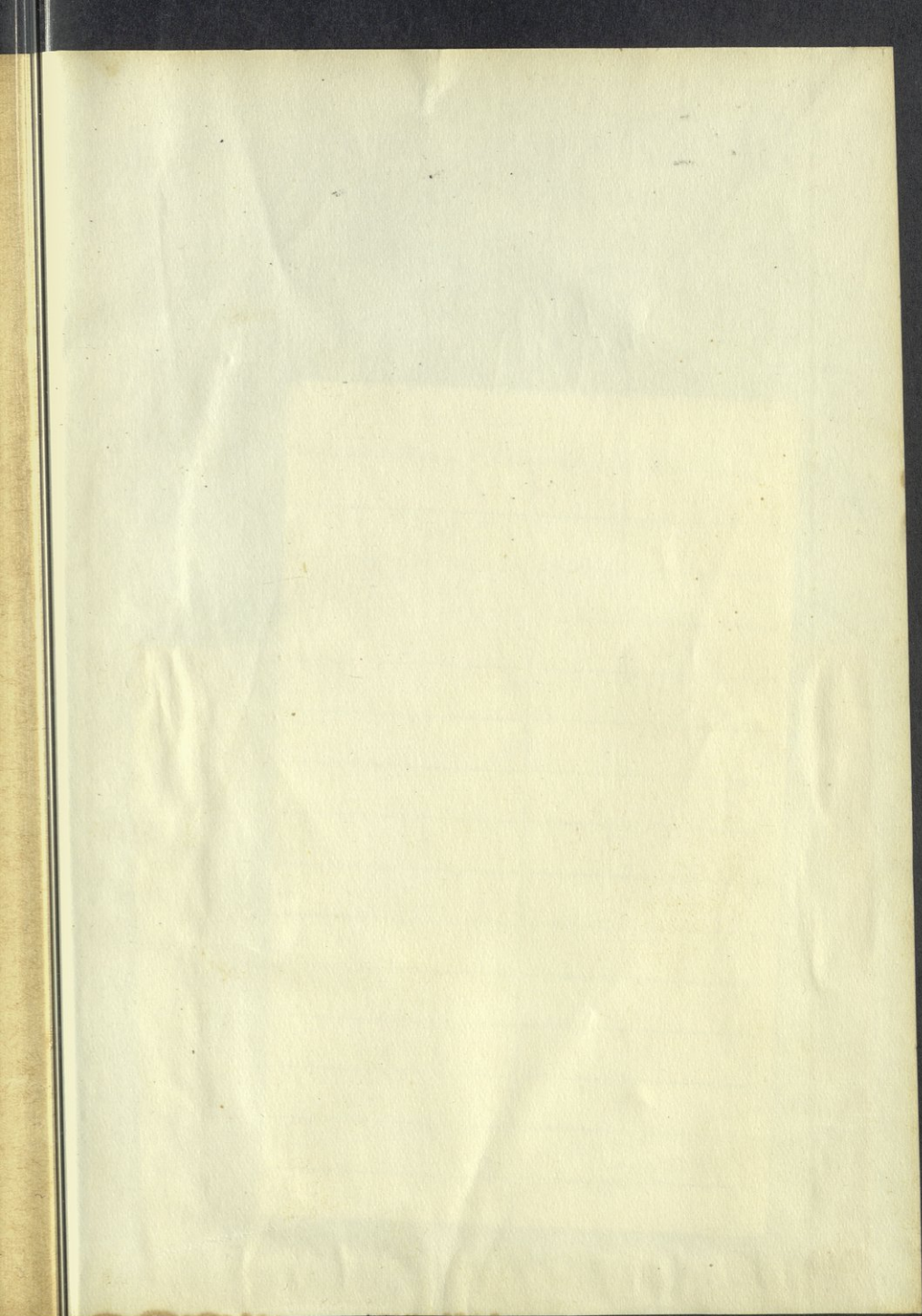
[REDACTED]

J. Lib.

AP 5156

[REDACTED]

19.1.64



309.162
H66 LA

محمد الطهري
الحسامي

لن نرجع إلى الوراء أبداً ... !

« عندما بطرق الرقي باب آمنة من
الأمم يسأل ... أهنأ ففكر حر ؟
فان وجدده دخل وإلا مضى »
توماس بين

الطبعة الأولى

فبراير سنة ١٩٥٤

الناشر

دار الفكر الحديث للطبع والنشر

٤ شارع خميرت : ت ٢٠١٤٠



ع
ال
لا
أ
ا

ا
و
و
ا
ر

مُقَدِّمَةٌ

إن صراعا عظيما في تاريخ المجتمع المصرى يقوم الآن بين عقليتين :
عقلية القرون الوسطى وعقلية القرن العشرين ... وبعبارة أخرى بين
الرجعية التى تريد ابقاء نظمنا الاجتماعية والاقتصادية كالوماء المخطئة
لأنه فيها حياة ولا يجرى فيها دم جديد ؛ وبين التقدمية التى تبغى تحرير
هذه النظم من الجمود والتزمّت ليندفع المجتمع بعد ذلك إلى موكب
الحضارة والتطور .

وليس هذا الصراع — فى الناحية الاجتماعية — بمجديد على المجتمع
المصرى ، بل هو حلقة من الحلقات التى بدأت منذ نصف قرن مضى ،
حيث كان زعيما من زعماء الفكر ورائداً من رواد الانسانية العظام
وهو المرحوم قاسم أمين يصبو سهامه القاتلة إلى قلب الرجعية فيردىها .
ولقد أحرزت التقدمية انتصارات باهرة فى الجولات السابقة ،
وآية ذلك ما نراه الآن من مظاهر المدنية والتطور فى مجتمعاتنا وخصوصا
انطلاق المرأة من اغلال الحريم .

ولكن طبيعة الرجعية تأبى أن تسلم بالهزيمة وتظل تدافع إلى آخر
دمق لها . وهامى بعد أن جمعت فلولها — فى جولة جديدة من الصراع ..

تتخذ من مهاجمة المدنية العالمية والتطور الانساني سلاحا يسندها في هذا النضال ؛ وتثبت على فلسفة غيبية مثل تشكيكها في المدنية العالمية ، وقولها أن تقاليدنا تتعارض تعارضاً كلياً مع ما يجيشنا به التطور من كل جديد .

ومنطقها هذا سلسلة من الأغاليط يأخذ بعضها برقاب بعض وتمضى نحو غاية واحدة هي الانفصال عن التطور ... التطور الذى تخافه وترهبه ، لما يدخره لها من قوى ستهدمها وتفنئها ... وإذا ما قدر لهذه الفلاسفة أن تستعمر عقولنا وتتحكم في حياتنا ، فإن المجتمع سينهار ... وهل يوجد انهار أقسى وأبشع من تخلفنا عن المدنية والتطور ؟ !

وما دمنا نربأ بمجتمعنا عن أن ينهار ، فلنطوق النفائات المطهرة في كل أركان المجتمع لنضع المدنية مكان الهمجية ، والتطور مكان الجمود ، والتحرر مكان القيود .

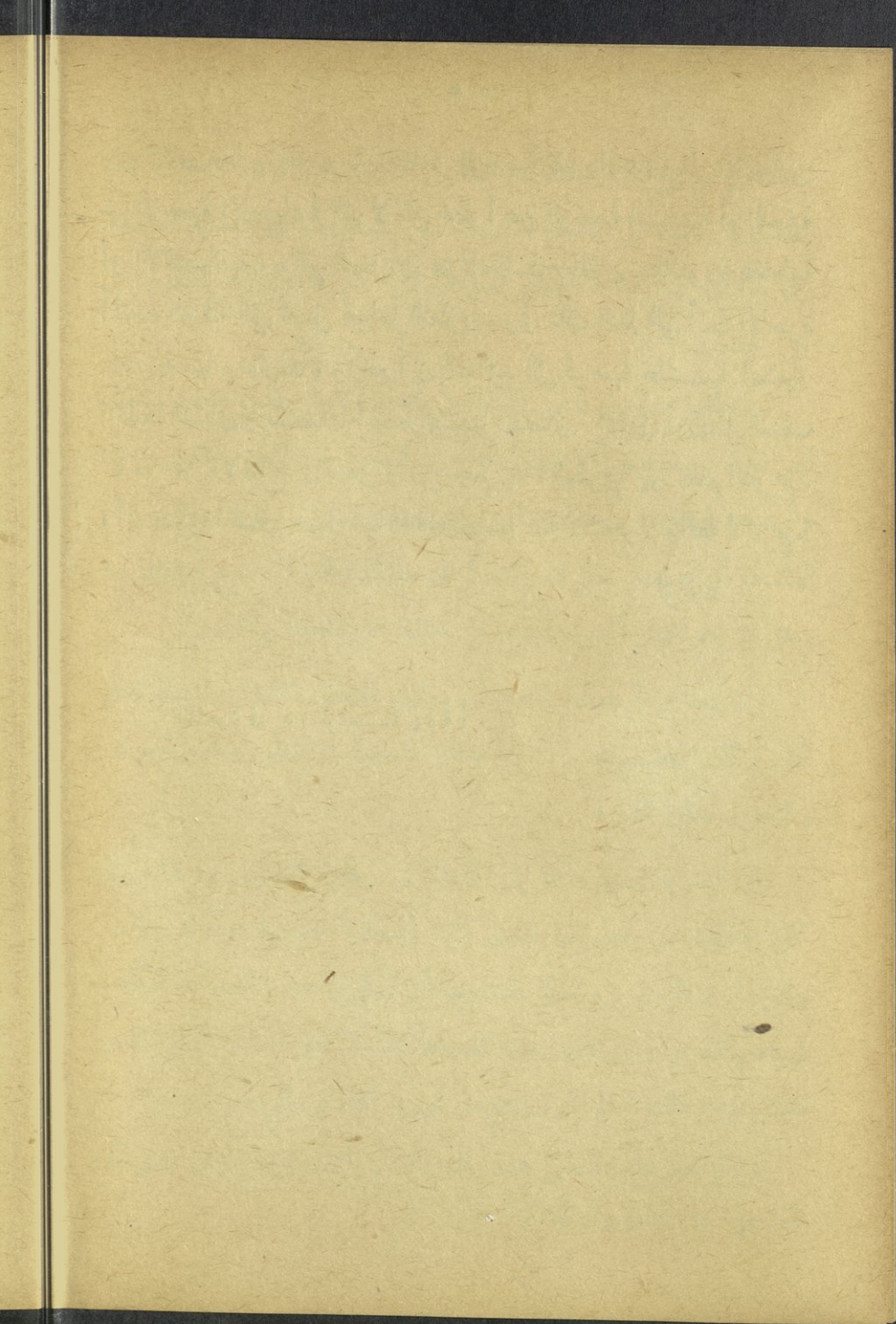
إن البشرية لتسير دائماً إلى الأمام في رعاية التطور وزمالاته وفي كل خطوة من خطواتها تهدي إلينا أفسكاراً جديدة وآراء مناسبة وعوامل ارتقاء ، يلزم لسكى نقف مع بها أن تكون عندنا الشجاعة الكافية في هدم القديم ، ولن تأتيننا هذه الشجاعة إلا إذا غيرنا عالمنا العقلى الذى نعيش فيه ، ذلك العالم الموروث من عهود الظلام والرجعية .

ومالم نغير عالمنا العقلى هذا فلن نقف مع بأى جديد ، ولن نصل إلى مانرجوه من تمدن وارتقاء .

وكتابتى هذا يهاجم نوعا معيناً من الرجعية يقود المجتمع إلى الانهيار .
هى الرجعية الاجتماعية التى لا نقل خطراً عن الرجعية السياسية أو الدينية
أو الاقتصادية ، والى تتمثل فى هؤلاء السذج الذين يطالبون بمقاطعة
المدنية العالمية التى تحمل عوامل التطور ، وفى تلك النظم التى أنت الأسرة
المصرية منها وتعثرت ، وأخيراً فى التقاليد التى فرضها علينا استعمار
الخليفة العثمانى وبمقتضاها أصبح مجتمعنا انفصالى ، يحاول أن يشل نصف
الأمة عن الانتاج والعمل وأن يرجع بنا القهقرى إلى نظام الحریم ،
وأن يضيق الخناق حول حياتنا فيجعلها ساكنة لا تتحرك واقفة لا تريم ؟

المؤلف

القاهرة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤



أين مكاننا في موكب المدينة؟

في هذا الفصل: —

- * من الماضي إلى الحاضر
- * المدينة لا تحتكر
- * الروحانية ليس معناها الزهد والرهينة
- * الروحانية لا توجد مع الجوع والفقر .

منذ أن بدأ الإنسان الأول يدب بقدميه على الأرض ، ومنذ أن بدأ يستنشق نسيم الحياة ، وهو أسير ضعيف مبهم وطيد ينبعث من احساسات نفسه وينبع من مطالبها وحاجاتها . يحثه دائما أن ينطلق شجاعا في موكب الزمن الهادر ، وان يبدد الركام الهائل من الضباب الذي يسد عليه طريقه حيث يمدفع باحثا عن عناصر نموه وارتقائه .

ولقد ثبت في روع الإنسان - في يومه البعيد - أن ما من صديق له أو مرشد الا فطرته . . . أجل فطرته التي كانت له هاديا إلى مطالبه وحاجاته . انها إذن كانت ترتاد له الطريق وتناديه : أن اتبعني فأنا دليلك في الوجود .

ترى ما الذي كان يريده وهو لم يخط - بعد - العتبة الأولى من الزمن ؟ أيستر عوراته ؟ أيتقى قسوة الطبيعة ونسكباتها ؟ أياكل ويقتات ؟ أجل كان ينبغي ذلك . . . ولكن كيف السبيل إلى تحقيق ما يريد ؟ ! بدافع فطرته يذهب ليتخذ من أوراق الشجر ملبسا ، ومن الجبال والغابات مأوى حيث يقيم الكهوف التي تقيه من الطبيعة . ومن صيد الحيوانات يأكل ويقتات . ومن الاغارة والخطف على الجنس الآخر يشبع رغباته الجنسية .

أكان يفترق عن الحيوان في شيء إلا في المظهر ١٤

أليس الحيوان — أيضا — يتخذ من كهوف الجبال والغابات
مأوى، ومن الصيد والقنص مأكلا، ومن الأغارة على الجنس الآخر
اشباعا لغرائزه ١٥

نعم لم يكن هناك فرق بين الإنسان والحيوان على الأرض، لا من
ناحية الشعور والإحساس ولا من ناحية الأخلاق ولا من ناحية
مطالب الحياة... ولكن الزمن لا يقف بل يتقدم، ويتقدم معه
الإنسان بينما يبقى الحيوان كما هو... يتقدم الإنسان في أفكاره
وأحاسيسه ومطالب حياته وسمن معيشته، إذ يشعر أن أوراق الشجر
لم تعد تسعف في ستر جسده، فيذبح أول خيط من خيوط المدنية العالمية
التي تطفح بها اليوم ونزدان.

ويشعر أن كهوف الغابات والجبال لم تعد تصلح، فيستأصل الأشجار
ويقطع الأحجار ليقيم القرى ثم ليشيد المدن... وينتقل من مرحلة
الصيد والقنص إلى مرحلة الزراعة، ويضع على مهل أسس الاستقرار
لحياة الإقتصاد الجماعي. ويحتاج إلى قواعد تضبط سلوكه ومعاملاته
فيشرع القانون.

وعندما يبلغ من الرقي مرحلة جديدة يدرك أنه في حاجة إلى أسرة
فيبدأ في تسكينها ويتدرج بها ويتطور... إنه يحس — أيضا — بحاجة
إلى هيئة تحميه من الاعتداء على المال والعرض والحياة غير تلك

العشيرة أو القبيلة التي هو فرد فيها ، فتتكون الحكومات ثم تتكون الدول .

وفي مرحلة أرقى من مراحل نموه وإرتقائه يشعر بحاجة إلى العلم فيتعلم ... ويحس بحاجة إلى الفن فيخترعه .

إن الدين نفسه كان ثمرة احساسه ونجواه مع نفسه ، فقد كان هو يرعى الغنم يطيل النظر إلى السماء فيرى نجوما قد ظهرت نهارا واختفت ليلا ، ويرى القمر وقد تقوس هلالا ثم استدار بدرا ثم ارتد كالعرجون القديم . فيطغى على نفسه ووجدانه الشعور بالرهبة والخوف بعد أن يعجز عن تفسير هذه الظواهر . فيعتقد أنها آلهة ويعبدها . ولا ينقذه من ورطته إلا الآله الحقيقي إذ يرسل إليه رسالة تبلغه وتنبيهه : أن اعلم انى أنا الرب إلهك وأن هذه الأشياء الذى أنت لها عابد من صنعى ومن خلقى ، فأعبدنى أنا ولا تشرك بى أحدا ، ومن ثم تنشأ الأديان السماوية ويتحول الإنسان من عبادة الأوثان إلى عبادة الرب .

وهكذا مضى الإنسان تدفعه إرادة التسامى والارتقاء — مبددا مجاهل الحياة ، مستكملا بقايا حياته ومقومات وجوده حتى وصل إلى القرن العشرين بمدينة جامعة مستوعبة تتمثل فى كل ما نسميه اليوم علما وثقافة وقانونا وفنا وأدبا وأسرة ودولة وصناعة ... الخ .

وهل هذا إلا شئ طبيعى عندما تكون حاجتنا المتنوعة المتداخلة منبعا قويا لعناصر الوجود ومقومات الارتقاء ؟

فالمدينة - إذن - هي وليدة الاحساس البشرى ، وهي تراث العقل وتكوين التاريخ ... أجل انها كذلك لأن الموكب الطويل الذى دفعته يد الانسان الاول على الأرض فسار ، والذى يمتلئ مركبه اليوم بحرطام من عرق الانسانية ودمائها ، هو الذى صنع المدينة وأبلى في سبيلها بلاء كله شجاعة وجبروت ، وهو الذى يلقي إلينا الآن نتاج العقول البشرية ثم يواصل رحلته إلى الأزمان القادمة . ولسكنه في سيره يتطور ويتطور وسيظل هكذا لا ينقطع ولا يقف إلى أن يأذن الله بنزول حياة الانسان من الأرض .

وقد يقول إنسان ، أن المدينة التى تصاحبنا اليوم هي نتاج القرن العشرين ولا صلة لها بمدنيت الأولى التى أيدت وفنيت واصبحت في التاريخ ذكرى !

كلا . إن المدينة العالمية التى نطن أنها وليدة القرن العشرين ، هي في الواقع موصولة بالمدنيت القديمة ، التى لا يمكن أن تفنى وهي التى ملأت الاسماع بالدوى الهائل الذى لم يسمعه إنسان الأمس فقط ، بل يسمعه أيضا إنسان اليوم ، وسيسمعه غدا إنسان الغد .

أجل ... إن هذه المدنيت التى نحسبها اليوم في تراب الأرض موق ، نعيشها الآن ولكنها انسابت إلينا عبر العصور بعد أن تطورت تبعا لتطور الحياة من حال إلى حال ، وتبعا لتطور العقل البشرى وارتقائه ، هذا الذى أضاف إليها من علمه وثقافته وتجاربه كل نتاج جديد .

ولما كان القانون ظاهرة من ظواهر المدنية وعصب من أعصابها
فقد نسأل : —

أين قوانين المدينيات القديمة ؟

أين القانون الفرعوني ؟

أين القانون الاغريقي ؟

أين القانون الروماني ؟

إننا قد نسأل انفسنا هذه الأسئلة بغير أن ندري ونشعر أننا نحكم
في القرن العشرين — بهذه القوانين . وإنما بعد أن تطور بها العقل
وأضاف إليها جديدا لتتناسب العصر وتساير حاجات الانسانية ومصالحها
التي استجدت في العصور الحديثة .

بل اننا نحكم أيضا ببعض القواعد القانونية التي وضعتها الجماعات
البدائية القديمة بغير أن ندري .

خذ مثلا مبدأ التعويض الموجود في معظم قوانين العالم المتمدين
ومن بينهما — القانون المصري . هذا المبدأ وضعت أسسه الجماعات
البدائية القديمة .

يقول « ول ديورانت » في كتابه قصة الحضارة عن المرحلة الأولى
في تطور القانون : « وفي مجتمعات بدائية كثيرة ، نجد أنه إذا حدث
أن قتل (أ) شخصا آخر هو (ب) كانت النتيجة أن يقتل (أ) على يد

لبن (ب) ، ولنرمز له بحرف (ح) ثم يقتل هذا الابن على يد ابن
المقتول قصاصا ورمزنا له بالحرف (ا) . وهكذا يتسلسل القصاص حتى
تنتهى آخر أحرف الهجاء .

ولكن هذه الجماعات وجدت أن الاستمرار في القصاص أو الشر
سيفنيها . إذن ماذا تفعل ؟ تركت القصاص إلى عقوبة أخرى هي
التعويض وحددت أثمان معينة للعين والسن واللأن . الخ .

وانساب هذا المبدأ عبر العصور فتلقفته الشرائع والقوانين المختلفة
ومنها القانون الروماني والشرعة الإسلامية ووصل إلينا واستقر في
قوانيننا بمد أن تطور وتذهب .

فإذا فرضنا أن (ا) قتل (ب) كان لابن (ب) أن يدعى مدنيا أمام
المحكمة أثناء نظر الدعوى الجنائية ويطالب بالتعويض .

ومن الحضارة الرومانية وفد إلينا القانون الروماني ، فتلقيناه
وجعلناه مصدرا لقوانيننا في القرن العشرين .. أجل تلقينا هذا القانون
العالمي الذي يمثل وحدة الانسانية المتعددة ، فما من مسألة من مسائل
الفقه إلا وعرض لها وما من جانب من جوانب العلم السياسي لم يلق
عليه نوره .

وفي ذلك قال استاذنا الدكتور على بدوى — عميد كلية الحقوق
سابقا — أننا نعيش الآن في عصر نستطيع أن نسميه عصر تقديس
القانون الروماني (١) .

(١) أنظر تاريخ القانون — للدكتور على بدوى .

وقال الأستاذ شيرمان الأمريكي بجامعة يال : —

« بأن الفضل في عودة المدنية إلى أوروبا بعد طوفان العصور المظلمة — يرجع إلى القانون الروماني ذي الجلال والخير ، .

وقال الأستاذ ديكاريل بجامعة تولوز :

« بأن روما تركت للعالم مجموعة من القوانين والفقهاء عاش عليهما جزء من الإنسانية . بل خلقت طائفة من التعاليم والمبادئ الصالحة لجميع العصور ولكثير من النواحي الاجتماعية ،

ونحن أبناء القرن العشرين . كم نتحدث عن الديمقراطية والحرية ، ونثور مدافعين عنها إذا ما بدى لحاكم أو ملك أن يطغى ويتجاهل إرادة الشعب .

ترى أهذه الديمقراطية التي تسود شعوب العالم المتمدن الآن وليدة المدنية العالمية الحديثة ؟ أو هي نتاج الثورة الفرنسية ومبادئها ؟ أو هي قد أخذت من كتب فولتير وروسو ومنتسكيو وغيرهم ؟

إننا نظام التاريخ ، ونتجنى على الحقيقة إذا ظننا هذا ! . أجل لأن هذه الديمقراطية وفدت إلى القرن العشرين من المدنية الاغريقية . .
لأنها — إذن من خلق اليونان .

استمع إلى أرسطو يقول في كتابه « السياسة » :

« إن الحرية شيمة الديمقراطية . وإن فكرة الشعب عن العدالة هي المساواة في الحقوق للجميع من حيث العدد لا من حيث القيمة . وإذا كان هذا معنى العدالة ، فالجمهور هو بالضرورة السيد الحاكم إذ أن قرار الأغلبية هو القانون النافذ الأمر » (١) .

ثم استمع إلى المشرع العظيم « بركليس » ، وهو يخطب في الجمعية العمومية فيقول .

« إن هذا الدستور الذي اخترناه لأنفسنا اسمه الديمقراطية ، لأنه لا يهتم بمصلحة الأقلية بل إلى مصلحة أكبر عدد ممكن . ولأن جميع المواطنين متساوين في الحقوق والواجبات . وأما من حيث الوصول إلى المناصب فالمفاضلة بين الأفراد لا تقوم إلا تبعاً لما يتميزون به ، وأساس التمييز هو الموهبة ، لا الاعتماد إلى طبقة معينة » (٢) .

ولقد كان اليوناني يزعم دائماً أنه ليس عبداً لمخلوق وأنه يطيع القانون لأن القانون انبثق من إرادة المواطنين جميعاً ، أي الشعب كله فلم يفرضه أو يمنحه ملك أو حاكم .

(١) أرسطو « السياسة » الكتاب السابع ، الباب الثاني .

(٢) توكيديس « تاريخ حرب البوبونيز » . وانظر - الديمقراطية لحالد محمد خالد . ومحاولات فلسفية ، للدكتور عثمان أمين - الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة :

ولعل هذا المعنى واضح في رواية « الفرس » ، « لاخليل » ، إذ أن
أتوسا يسأل « أين أثينا ؟ أهى مدينة كبيرة بلغت من قوة الجيش
والمال حداً جعل « أجزرسيس » يرى وجوب القضاء عليها ؟ ومن هم
أولئك الأثينيون ؟ وأى قائد يقودهم إلى الحرب ؟ ومن هو ذلك الطاغية
الذى يتولى حكمهم ويستبد برأيه ؟ .
فيجيب الشيوخ « إنهم لا يرون أنفسهم عبيداً لأى إنسان ، وليس
لأحد عليهم من سلطان » .

ولقد جاءت الأديان تزكى الحرية أو الديمقراطية الإغريقية وتباركها
وتدعو الإنسان أن يتمسك بها ويجعلها مثله الأعلى في الحياة .. فما
كان لدين أن يقر انفراد حاكم بالسلطة وأن يتجاهل إرادة المواطنين
ويعتدى على حقوقهم . وما كان لدين أن يقر — أيضاً — قبول أى
مواطن — أيا كان — لحكم ديكتاتورى لا يستند إلى إرادة الشعب .
لقد وقف يسوع المسيح يصرخ فى وجوه البغاة والمستضعفين معاً
ويعلم فى قوة وإصرار أن لباب دينه تحرير الإنسان من العبودية ونشر
لواء الحرية والمساواة والسلام وقف يقول لهم :
« إن الرب مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لانهض بمنسكسى
القلب .. لنادى للمسيبين بالعتق ، وللبأسورين بالانطلاق » .

وقف يصيح فى وجه المساكين والمستضعفين :
« الحق أقول لكم : إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن

يرى ملكوت الله ، ماذا كان يعنى بالولادة من فوق ؟ .

كان يعنى أن يشعر الانسان بأنه إنسان لا حيوان يسخر . . . كان يعنى أن يحس الانسان بأنه سيد لا مسود لغيره . . . كان يعنى أن تكون فى الانسان عزة وسمو واعتداد وكرامة ، لا يضعها تحت أقدام حاكم أو مستبد أيا كان هذا الحاكم ، وأيا كان هذا المستبد .

ثم جاء محمد الرسول عليه السلام وأكد هذا المعنى فى قوله الناس سواسية كأسنان المشط . .

إذن فأساس الديمقراطية لم يوضع فى القرن العشرين أو فى الثورة الفرنسية ، إنما وضع فى مدينت الأولى وأولها المدينة الاغريقية . وإن كان للثورة الفرنسية فضل فى هذا الصدد — فهو بعث الديمقراطية من مرقدتها بعد أن قتلها طغاة مستبدون . . وهكذا تربط المدينة حاضرها بماضيها ويعترف العقل الحديث بفضل العقل القديم حتى على القرن العشرين . والمدينة تفقد فائدتها وروعها إذا لم تسمح للتطور بأن يقودها ، لأنها يوم أن تتخلى عن التطور تنقلب إلى هيجية لا مدنية . والتطور دائماً يسير إلى الأمام ولا يمكن أن يرجع إلى الوراء شبراً واحداً

لقد كنا قديماً نركب الدواب والعربات الخنطور فى سفرنا فهل يمكن أن نتخلى عن سيارتنا وطائرتنا لنعود إلى السفر بالعربات والدواب ؟ لقد كنا نجلبس نساءنا وقتياتنا فى الحرير ، ونقيم عليهن الاغرات حراساً ورقباء .

فهل يمكن أن نطردهن من الجامعات والمدارس ونخرجهن من وظائف الدولة والشركات والأعمال الحرة.. الخ، لنرجعهن إلى الحرم كما كن ١٤

وقد كننا نشغل بتجارة الرقيق ونتخذ لنا عبيداً نشتريهم من الأسواق أو نأسرهم في الحروب والمعارك ؟
فهل يمكن أن نعيد هذه التجارة من جديد ونأق بالعبيد والاعترات إلى بيوتنا كما كان يفعل أجدادنا ؟

إن هذه الأمثلة البسيطة تبين بوضوح استحالة رجوع التطور إلى الوراء. سواء كان هذا التطور اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً.. الخ.
ولما كان الإنسان منذ أن اكتشف نفسه يعمل دائماً على إشباع حاجاته وتحقيق مصالحه من جميع الوجوه المعنوية والمادية ، ولما كانت احتياجاته وضروراته دائماً تتجدد وتتطور ، وما زالت ، كان لزاماً على المدينة أن تتطور هي الأخرى لادفاع من ذاتها ، بل بدافع من احتياجات البشرية ومصالحها (١).

لقد إحتاج الإنسان أن يشبع رغبة معنوية فيه ، هي التسرية عن نفسه وتسليتها . فاخترع الفن وتنوع به ثم شعر بالرغبة في تحقيق ضرورة ، هي أن يتثقف . فطرق مختلف الوسائل لذلك بما فيها الفن الذي حوله إلى أداة تربية وثقافة وتعليم بجانب كونه أداة تسلية ولهو . وما الفن

(١) أنظر الديمقراطية أبداً — خالد محمد خالد .

اليوم إلا كما كان في الماضي ، مظهر من مظاهر المدنية وعصب من أعصابها
فنحن عندما نرى مثلاً الفن الفرعوني الذي يتمثل في الآثار العظيمة
الرائعة نستدل منه على ما وصلت إليه مدينتنا الفرعونية من روعة وبهاء .
وقد كانت المدنية في الماضي تحتاج إلى الرجل وحده وتضع المرأة
تحت سيطرته وإرادته . وكانت تقيم أسوار العزلة بين الجنسين وتحرم على
المرأة ممارسة حقوقها السياسية والاجتماعية ... ولكن هذه المدنية ذاتها
عندما دخلت مرحلة جديدة من مراحل نموها وتهذيبها وتطورها ، وهي
مرحلة الثورة الصناعية ، اندفعت كالسيل تحطم الأسوار التي تفصل بين
الجنسين ، وتفك القيود والاعلال عن المرأة وتطلقها إلى المصانع
والمعامل والمدارس والجامعات والدواوين الحكومية والشركات
والمجالس النيابية والمجالس الدولية ، تزاحم الرجل بالمنسكب والذراع ؛
أكان تطور المدنية في هذا الصدد - بدافع من ذاتها ، أم كان بدافع من
مصالح البشرية وحاجاتها ؟

لم يكن تطورها إلا بدافع الحاجة من الاستفادة من مجهود النصف
الأخر في شتى الميادين بعد الانقلاب الصناعي والاقتصادي الضخم .

ولعل المثل الذي نضربه بآلة النسيج يوضح بجلاء أكثر كيف كانت
المدنية والتطور ثمرة أكيدة لاحتياجات الانسانية ومصالحها (١) .

فكر الانسان تحت وطأة البرد في الانتفاع بصوف الأغنام الذي

(١) انظر تطور آلة النسيج في كتاب الديمقراطية من ٩٠ و ٩١ لخالد محمد خالد .

كان يرعاها ، فكان يقصه بيديه ويمشطه وينظفه ثم يغزله بمخزل بدائي .
ولما ازدادت حاجة الانسان إلى الصوف ، كان لابد من آلة جديدة
تخرج صوفاً يشبع حاجاته ورغباته ، فكان النول .

ثم ازدادت حاجة الانسان أكثر وأكثر إلى الصوف ، فكان
لابد من تحسين آلة النول لنتج أكثر . فجاء (جون كاي) وأدخل على
النول تحسيناً يوفر دفعه باليد ، وبالتالي يوفر وقتاً طويلاً وينتج كميات
أكثر من الصوف .

ثم ظهرت مشكلة جديدة جاءت باختراع جديد . فبعد أن كان النساج
الواحد يحتاج إلى غزال واحد ، صار كل نساج يحتاج إلى عشرة غزالين .
فن أين يأتون بعشرة من الغزالين ؟ . هذه المشكلة دفعت (جيمس
هار جريف) إلى وضع عدد من الآلات الغازلة جنباً إلى جنب على
أطار واحد ، وبذلك تغزل كمية أكبر بمجهود أقل وتحل مشكلة الغزالين
العشرة .

وبمضي الزمن برزت مشكلة أخرى هي رداءة الخيوط . فجاء
« كرمبتون » ، واخترع آلة جديدة تخرج خيطاً رقيقاً .

ولكن شعور الانسان بحاجته إلى الصوف زاد إلى حد أصبحت
هذه الآلات عاجزة عن انتاج ما يحتاج إليه . وهنا برز قسيس يدعى
« كارتريت » ، اخترع لقومه آلة جديدة كان ميلادها بشيراً بميلاد الانقلاب
الصناعي في العالم كله .

وظل التحسين الطارىء على النسيج يتتابع حتى عمرت به المصانع الشامخة .

فالمدينة - إذن - ما دامت تنبع من احساس البشر ، والتطور مادام ثمرة أكيدة لحاجة الانسانية ومصالحها المادية والمعنوية . فهي حياتنا وهي سمة حياتنا . فاذا ما احببناهما ، فانما نحب الحياة وسنتها .

وما من شعب من شعوب القرن العشرين ، يشعر بحبه للمدينة وعشقه للتطور ويرضى أن يظل ضائعا في زحام الدول المتقدمة .

أما الشعب ... الشعب الذى يرضى أن يعيش على هامش الحياة لا فى صلبها ، هو الشعب الذى يكون حربا على المدينة ، وعدوا للتطور . ذلك أنه لم يبلغ من الادراك والوعى ما يشعره بفائدة المدينة وحثمة التطور .

وفى المجتمع المصرى تطفئ على وجداننا المخاوف المقلقة والذعر الدائم من المدينة والتطور فى كل ناحية من نواحي حياتنا . وقد يكون ذلك أثرا من آثار الاستعمار ، الذى مكن للرجعية وثبت أقدامها فى بلادنا . وأورثنا العقد النفسية ومركب النقص .

فإنه عندما يغير على أمة من الأمم ، يبدأ بنشر الأفكار الرجعية والاراء الجامدة فى أوساط الناس ، ويبحث عن خونة رجعيين يقربهم إليه ويشجعهم على ترويج الرجعية التى من شأنها أن تبقى على النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية فى الشعب كالمومياء المحنطة لا تندب فيها حياة ولا يجرى فيها دم جديد .

وهذا ما حدث في مصر .

فعندما انكسبت بالاستعمار الفاطمي أراد أئمة أن يصرفوا الشعب عن التفكير في مصيره وحقوقه فجاءوه ببدعة ، هي تلك الموالد التي تقام كل عام للأولياء في المدن والقرى حيث مشى مرديه وأنصاره يزعمون أنها من الدين .. وبذلك أخذها الشعب وجعلها تقليداً من تقاليد الدينية الرائعة حتى يومنا هذا بغير أن يخجل ويستحي !! ولقد كان دخول هذا التقليد بيد الاستعمار الفاطمي نكبة علينا ، إذ أنه مكن للجمل أن ينتشر ويثبت في العقول وما زال .

وجاءنا استعمار الخليفة العثماني بكية هائلة من التقاليد الرجعية البشعة التي مازلنا نعانى آثارها حتى الان ... أما الاستعمار البريطاني فقد حافظ على هذه الرجعية وأضاف إليها جديد بأن وضع جميع العقوبات أمام تصنيع البلاد . وأذاع أننا أمة لاتصلح إلا للزراعة فقط وأيده أنصاره من الخونة والرجعيين فيما ادعاه ، وبذلك تركت البلاد للفقر يقطع في أحشائها قطعاً .

واننا نتصور بلادنا لو أنها لم تنسكب بالاستعمار - دولة متمدنة راقية ، تقف في الصف الأول مع دول أوروبا وأمريكا ... المصانع تنتشر في المدن بل وفي القرى أيضاً . والامية تسكاد تنعدم . وريفنا غير هذا الريف الذي هو وصمة في جبيننا . وجيشنا يحسب له حساب . ومركز المرأة عندنا غيره الآن ... إلى آخره ... إلى آخره

أجل ... كان من الممكن أن نكون كذلك لو أننا لم نقع في أغلال الاستعمار ، ولو أننا اعترفنا بالتطور وسرنا كما سار المتمدون في الغرب والآن وقد كدنا نتخلص من البقية الباقية من الاستعمار ، أن لنا أن نتخلص أيضا من مخلفات عصوره الطويلة المظلمة ... أن لنا أن نقضى على الرجعية بكافة أنواعها وتشكيلاتها ... أن لنا أن نحرر من عقلية القرون الوسطى وأن نعلم أننا لا يمكن أن نكون مع الغرب في موكب الحضارة والتطور إذا ظلت حياتنا الاجتماعية والاقتصادية تتجاذبها التيارات الرجعية ويغلب عليها الجمود والنزمت والتعصب ضد كل جديد يأتي به التطور وتتطلبه الحضارة .

أليس من المنجّل أن يكتب عنا مؤتمر السفراء الذي انعقد في لندن تقريراً سيئاً نشرته صحف العالم ويقول فيه .

« إن شعوب الشرق الأوسط لا تزال تعيش عيشة بدائية . وأن قوى الرجعية تتجاذبها إلى الوراء جذباً عنيفاً ... وأنه ليس هناك سوى دولتين إثنين تسيران في سياق التطور والرقى هما تركيا وإسرائيل . »

ولمّا لبصر في المجتمع المصري جماعة تحاول دائماً أن تشكك الناس في قيمة المدنية لتثبت أقدام الرجعية والنزمت في مجتمعنا . فتارة يزعمون أن المدنية الأوروبية تفسدنا وأنها تتنافى مع التقاليد الشرقية !! وتارة يزعمون أننا كشرقيين خلقنا للروحانية ، وأن مدينة الغرب تتنافى وتعارض مع روحانيتنا !! وتارة يقولون الدين ... الدين ... أنه ضد المدنية ... أنها حرام . وينطلقون يجرمون ما يريدون وما يشتهون مما يحسبنا به التطور والمدنية من كل جديد .

وأمام هؤلاء تقف مجموعة كبيرة تذود عن المدنية وتدافع عن التطور

وتدعو المجتمع أن ينساب مع الطلائع الزاحفة نحو الارتقاء والتحرر .
وهكذا نرى في المجتمع المصري قوى تتصارع وتتضارب ، وما
أحسب أن في هذا خيراً لمجتمعنا . ونحن مع إيماننا المطلق بأن التقدمية
ستسود وأن التطور سيمكفح الرجعية بألوانها المختلفة واتجاهاتها المتشعبة
وسينتصر آخر الأمر انتصاراً رائعاً ، إلا أننا نرى أنه من الخير أن
تنتهى هذه المعركة بين التقدمية والرجعية ، وأن يؤمن الرجعيون بأنه
لا جدوى إطلاقاً من وقوفهم أمام قوة التطور الجبارة . وإلا فإن نهايتهم
ستكون كنهاية أخوانهم الهنود الحمر في أمريكا .

فقد يما حملت المدنية متاعها ورحلت عبر المحيط الأطلنطي لتحيي عالماً
آخر غارقاً في ظلام دامس ، ولتفتح آفاقاً جديدة للإنسانية . فوقف لها
الهنود الحمر بالمرصاد ، لا لأنها جاءت تستعمر مجاهلهم بل لأنهم ظنوا
أنها تحمل معها كل معاني الفحش والضلال . فكان يكررون عليها تارة ،
ويفرون منها تارة أخرى .

ولكن ، أكانت المدنية من الضعف بحيث تتركهم يقفون أمامها
ويعرقلون سبيلها الحثيث لفتح الآفاق الجديدة ؟ كلا . بل أجهزت عليهم
وطحنهم بين عجالاتها ، ومن بق منهم نفر قليل العدد انطوى على نفسه
وقد ضرب سداً منيعاً من خز عبالاته وتقاليده وأوهامه بينه وبين المدنية
العالمية التي توجد على بعد يسير منه ، ولكنه لا يشعر بها كأنه تحت الردم
من الأموات .

ويبدو لنا أن مصير هنودنا الحمر سيكون نفس المصير ، إلا إذا
تحرروا وآمنوا بقوة التطور وحتميته لسعادة الإنسانية كلها .

المدينة لا تختكر :

والان نريد أن نسأل :

هل حقاً ما يزعمه الرجعيون من أن المدنية دخيلة علينا ؟

هل هي تخص الغرب وحده ونحن لا يحق لنا أن نتمتع بها ونصاحب الغرب في موكبها المنطلق ؟ !

هل هي كما يصورها الرجعيون ، خصومها ، شيئاً مخيفاً يهدم أخلاقنا ويذهب بروحانيتنا ؟

إنه لمن الخطأ أن نعتبر المدنية مخلوقة للغرب وحده . . . أجل ومن الخطأ الذي لا يفتقر ان نخاف من المدنية ونهرب التطور ونشن عليه غاراتنا بحجة أنه من صنع . الخواجات ، أو كما قال كاهن كبير — في محاضرة له — أنه ليس من صنع المسلمين !!!

ذلك أن المدنية موكب واحد تنظم فيه كل الدول المتقدمة وكذلك الدول التي تريد أن تتمدن وتقوى ويصبح لها ثقل في الميزان الدولي .

إن المدنية عالمية ساهم في بنائها — منذ وجد آدم وحواء — البشر جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها . . . إنها كالهواء تماماً لا تستطيع دولة منهما بلغت من القوة والتمدن أن تحتكرها لنفسها وتمنعها عن غيرها . . . إذن هي حق لكل دولة ولكل فرد في الشرق أو في الغرب

فن يحول بيننا وبين هذه المدينة العالمية ، هو في الواقع يحول بيننا وبين حق مشروع وهبته لنا الطبيعة كما وهبه لنا نضال البشرية منذ بدء التاريخ حتى الآن لترقية الانسانية ورفع مستواها الأدبي والمادى معا .

ولما كانت المخترعات الحديثة ظاهرة من ظواهر المدينة العالمية ، لذلك نريد أن نسأل :-

هل يستطيع الغرب مثلاً أن يمنع الشرق من الانتفاع بالراديو أو التليفزيون بحجة أن هذه المخترعات انما اخترعت عنده وصممها أبنائوه ؟ لا يستطيع .. لأن هذه المخترعات الجبارة أصبحت عالمية ولأن مخترعيها لم يكن يصممونها لينتفع بها الغرب وحده بل لينتفع بها سائر البشر في جميع انحاء العالم .

فإذا جاءت دولة شرقية وقالت أن هذه المخترعات من صنع (خوارج) لا أدخلها عندي ، فقد حكمت بذلك على نفسها بالاعدام الأدبي واسقطت نفسها بنفسها من مجموعة الدول المتقدمة ، كذلك الدولة التي رفضت إدخال التليفون فيها بحجة أنه إختراع شيطاني !

لقد بينا كيف تتطورت آلة النسيج تبعاً لتطور حاجة الانسان ومطالبه ، وان هذه الآله اخترعت في إنجلترا : ولذلك نسأل :

هل كان اختراع الإنجليز لآلات النسيج صارفاً لغير الإنجليز ، وصارفاً لنا نحن الشرقيين بالذات عن الانتفاع بها ؟ وهل كان « جون كاري » ، « جيمس هارجرىف » ، « وكرمبتون » ، « وكارتريت » يصممونها على

الا ينتفع بها أحد سوى الانجليز؟ أم كانوا يصممونها لنتفع بها البشرية
في جميع أنحاء العالم؟ (١)

ثم فليجيبنا هؤلاء المزمعون أعداء المدنية والارتقاء :
لماذا التجأ العرب إلى حضارة الأغريق يترجمون كتبها ويتدارسون
ثقافتها ويقبلون عايتها في منهم شديد ؟ هل كان اختلاف الجنس واختلاف
الدين حائلا بين العرب وبين هذه الحضارة التي تأسست هايتها الحضارة
الإسلامية ولولاها ما كانت هناك حضارة اسلامية أبدا ؟
إذن المدنية عالمية ، وهي ليست حقا لأوربا وحدها بل نحن أيضا
لنا الحق فيها — ولكن لأن الغرب عرف جيدا كيف ينتفع بالمدنية
ويسير مع التطور ، نسبناها إليه وانقض على وجداننا الخوف والرهبة
منها ففكرناها !!

وما هي بالشئ المخيف بل أنها أكبر حليف لنا يساعدنا على
الارتقاء والتحرر بأن تحرر نظم مجتمعا من نظم رجعية جامدة فقدت
صلاحيتها للبقاء إلى نظم أخرى تقدمية من جميع نواحي الحياة الاجتماعية
والسياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية .

هذه المدنية العالمية تتفرع إلى فرعين كل فرع لا يغنى عن الآخر
في دولة تريد أن تتطور وترتقى . أما الفرع الأول فادى وقد ضربنا

له أمثلة من المخترعات الحديثة كالراديو والسينما والتليفزيون والصناعة... الخ. وأما الفرع الثاني فأدبي ويتمثل في الفن والعلم والأسره والدولة والقانون وأسايب الحياة الاجتماعية التي يسير عليها المتمدنون .

ذلك أن البشرية في تقدمها لم تكن تبغى التقدم المادى فحسب ، بل والأدبى أيضا .

وفى رأيى - أن التقدم الادبى يجب أن يسبق التقدم المادى ، إذ أن الانسان عاجز عن الاتاج والابتكار قبل أن ينهض عقليا ومعنويا ويبعد عن جو الرجعية وتقاليدها وأفكارها الجامدة .

لقد عرف كهنة العصور الوسطى هذه الحقيقة ... عرفوا أنه كلما كان عقل الانسان مستترا وراء حجاب كسيف من الأفكار المترمة والخزعبلات والأراجيف ، كلما ظلت البشرية فى تدهورها وتأخرها ولاسكن يوم يسفر العقل ويتحرر ، يوم تنهض البشرية وتتقدم من جميع الوجوه ، ويكون تقدمها هذا قتلا للرجعية والكهانة . ولذلك وضع سدتها يدهم على العقل من قديم الزمان وفرضوا عليه حصارا قويا متينا ، والصراع الذى نشب بين العقل وبين الكهانة معروف ، ومعروف أيضا أنه أنهى بانتصار العقل وتقدمه ، ومن ثم بدأت البشرية فى تقدمها الادبى والمادى معا .

ولذا كانت البشرية قد تقدمت تقدما عظيما - من الناحيتين المادية

والأدبية — فى الغرب ، بينما تخلفت فى الشرق ، فالذنب — فى ذلك
ليس ذنب أحد الا هؤلاء الذين اختلقوا للشرق خرافة يشغلونه بها
عن زمالة الغرب فى الموكب الواحد ؛ تلك الخرافة هى أن الشرق خلق
للروحانية وأن مدينة الغرب تفسده وتذهب بروحانيته !

وأكد أجزم أن هذه الخرافة هى السبب الاول فيما وصلنا إليه من
بلاء... قتلت فىنا روح الكفاح وبعثت فىنا الكسل والتواكل ...
وصرفتنا عن العمل والإنتاج . وكرهتنا فى دنيانا وحياتنا !

وأكد أجزم — أيضا — أن هذه الخرافة هى التى مهدت لاستعمار
الشرق من من ؟ من دول الصناعة والإنتاج ... من دول الخبز
والمادة ... من دول الحضارة والتقدم ... أو — لى نرضى المغفلين
الروحانيين — نقول من الدول المادية التى لا تعرف شيئا من الروحانية
ونحن لا يهمنا ، نهض الشرق أم لم ينهض ، وقف على قدميه أم انكفأ
على وجهه ، ولكن يهمنا مصر — وطننا — قبل كل شيء ... أجل
يهمنا مصر وحدها أن تنهض وتنبت على قدميها وتسير مع التطور .

ولخطورة هذه الخرافة — خرافة الروحانية — على بلادنا يجب علينا
أن نتعرض لها ، ونناقشها .

الروحانية ليس معناها الزهد والرهينة : —

إننا نريد أولا أن نسأل حضرات الروحانيين : ماذا تريدون بالروحانية ؟

هل تريدون مثلاً البخور ، وتلاوة الذكر واستحضار الأرواح
ومخاطبة الجن ؟

ما أظن أحداً يذهب إلى هذا المعنى اللهم إلا إذا كان مخبولاً ؟

إذن هل تريدون الحياة في صومعة من الزهد والانصراف عن الدنيا
ومباهجها ؟ إن كنتم تريدون هذا فأنتم على ضلال مبين . إن زمننا ليس
زمن الزهد والرهينة ، وإنما هو زمن الحياة . زمن العمل والنشاط . زمن
الاستمتاع بما في الدنيا من مباهج وخيرات .

فاصحوا : إن المجد لا يتعرف إلا بالشعوب التي تعرف كيف تعيش
والتي تعرف كيف تستمتع بدنياها وتسود فيها .

ولم يأت دين يجعل من الحياة سجننا تقضى البشرية أيامها فيه باسم
الروحانية ! بل جاءت الأديان كلها تحت الإنسان أن يتمتع بما خلقه الله
من طيبات الدنيا ومسرات الحياة .

إن المسيح يعلن أن المجد لله في الأعلى . وعلى الأرض ...
وللناس المسرة .

ماذا كان يعنى بقوله أن للناس المسرة ؟ كان يعنى أن يتمتع الناس
بدنياهم وأن يكونوا اهزاء فيها .

والقرآن الكريم أيضاً يهدد ويتوعد هؤلاء الذين يذمون الدنيا
ويدعون الناس للانصراف عنها قائلاً : قل من حرم زينة الله ، وهو
من جهة أخرى يحث الإنسان على أن يسعد بدنياه ويتمتع بها إذ يقول
« ولا تنسى نصيبك من الدنيا » .

وعند هؤلاء أحاديث لا حصر لها تحرض الناس على الدنيا وتدعوهم إلى الانصراف عنها ليحيا الإنسان حياة التعبد والرهينة... هذه الأحاديث مصطنعة ، دست لغرض خبيث ، هو فرض سلطان السكّهانة على عقول الناس وأحوالهم .

ولو فرضنا أن من هذه الأحاديث ما هو صحيح ، فمعناه مجازى بحث أى أن الحديث لا يعنى حض الناس على كراهية دنياهم والانصراف عما فيها من متع ومكذات . وإنما هو يهدف إلى علاج وقتي يبت الأمل فى نفوس الضعفاء والمساكين ، مع حثهم فى الوقت نفسه على النهوض والعمل على ترقية مستواهم المادى والأدبى معا ، حتى يتمكنوا من الحصول على نصيبهم المشروع من متع الحياة وخيراتها .

هذا الإنسان ذو الجلال ، الذى تشع من روحه وفكره آلاف الشموس ، هو فن الله على الأرض وفلسفته وكلمته وروحه . وهبه الحياة ومنحه السيادة على الدنيا لا لينصرف عنها ليقف حياته على الرهينة ولا ليضرب صفحا عن خيراتها بحجة الروحانية . بل وهبه ومنحه ليسير فى عزم وقوة فى طريق الانتصار على كل أسرار الأرض والسما . . ليسير ثابت الخطى قويا جسورا ، إلى الأمام دائما ، ونحو الأعلى أبدا . . فكل انصراف عن الدنيا بحجة كسب الآخرة ضلال !! وكل انصراف عن خيرات الحياة ومباهجها بدعوة الروحانية غباوة .

إن هذه الفلسفة الغيبية ، فلسفة الروحانية الزائفة هى التى جرت على

الشرق مصائب ، أهمها شأنا وقوعه فريسة سهلة للدول الغربية التي أقبلت على الحياة وأخذت نصيبها الوفور منها وتعطلت قوة هائلة تكمن فيه بعد أن أسلمته هذه الروحانية الزائفة إلى التواكل والنوم ، كان في إمكانه أن يستغلها استغلالا يرفعه من بؤسه لو أنه اعتنق مبدأ احترام الحياة وعمل له ودافع عنه .

وحرصنا على ألا ترجع بلادنا إلى الوراء ، وأن تمضي إلى الأمام نحو التمدن والحضارة يدعونا حثيثا إلى مهاجمة هذه الدعوة المسمومة دعوة الروحانية الزائفة !

المادية تمهد للروحانية الصحيحة :-

إن الروحانية التي نفهمها وندعو لها ، هي الأخلاق الفاضلة... وفي مجتمعنا نظن أن الأخلاق الحسنة تتطلب البعد عن الزنا وأداء الصلاة والصوم فحسب وهذا خطأ لأن الأخلاق الفاضلة التي تهينا روحانية صحيحة ، أوسع مدى بكثير... إنها صفاء النفس وراحة الضمير إنها حب الخير والجمال والتحلل بالشجاعة والكرم والأمانة... والتعاون مع الغير للصالح العام... إنها احترام القانون ، واحترام النظام والشعور بالمسؤولية ، وقيام المواطن بواجباته العامة والخاصة .

هذه هي الأخلاق الفاضلة التي تجعل الإنسان إنسانا ، وترفع الشعوب إلى التمدن والحضارة .

هل هذه الاخلاق الفاضلة ترفرف على الشرق ؟ . . . الشرق
الذى خلق للروحانية كما يزعمون !

إننى اقرر حقيقة ملهوسة إذا قلت أن الشرق فى حرمان تام من
هذه الاخلاق العملية الصحيحة ، بينما الغرب قد أخذ نصيبا وافرا منها .
وليس فى هذا ما يثير الدهشة ، لان المادية التى تتمثل فى العدالة
الاجتماعية ورفع مستوى المعيشة لطبقات الشعب بزيادة الانتاج هى
التي تقيم الاخلاق الفاضلة وتؤسس الروحانية الحقة ، لاروحانية المجاذيب
البعض لا يريد أن يعترف بأن إرتفاع مستوى المعيشة وتحرير
المواطنين من الجهل هو الاساس الصحيح لرفع مستوى الاخلاق فى
المجتمع .

وهؤلاء فى حاجة إلى أن يعللوا أن محمد الرسول عليه السلام كان
يتعود من الفقر ومن الدين . ويقول أنه يحمل الرجل على أن يحدث
فيه كذب ، ويعد فيخلف .

وهذا الكذب وهذا الاخلاف أول معول هدم فى صرح الاخلاق
والفضائل .

وهؤلاء فى حاجة أيضا إلى أن نقول لهم انكم تستطيعون أن تؤلفوا
وتبتكروا نظريات رائعه فى الاخلاق والروحانية وتملأوا بها المجلدات

والكتب وتنشرونها على الناس .

وتستطيعون أن تقفوا طويلا على منابر المساجد والكنائس
وفي دور الجمعيات الدينية ، تذكرون الناس بأوامر الله وتنهون عن
الفحشاء والمنكر والبغى . . . وتستطيعون أن تخطبوا بأصواتكم العالية
في الميكروفونات البائسة المتعسة تنصحون الناس بالتحلى بمكارم الأخلاق
وفضائل النفس ، أثناء الليل وأطراف النهار .

ولكن كل هذا . سيذهب هباء . . . سيذهب كما تذهب الرياح .

إن أخلاق الإنسان الحمينة لا تكسب بموعظة حسنة ، يلقيها وعاظ
الآزهر في المدن والقرى وحول حلقات الذكر . ولا هي ممن تأتي بخطبة
من خطب الجمع يلقيها خطيب المسجد ويذكرنا فيها بالنار والجنة
كأنه منها آت . ذلك أن أخلاق الإنسان خيراً أو شراً وليدة حالته النفسية
والاجتماعية والاقتصادية والصحية . وهذه الحالات كلها وليدة الوسط
الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان أى هي نتاج بيئته تربى فيها وترسبت
فيه عوائدها وأفكارها وتقاليدها .

فإن كانت البيئة فاسدة كان أفرادها فاسدين بالتبعية ، وإن شذ
البعض وصالحوا فهذا إستثناء لا يعول عليه في قياس قاعدة عامة .

وما الذى يفسد بيئة الإنسان ؟ !

يفسدها الفقر والجهل قبل أن يفسدها أى شىء آخر ، فإذا أردنا
إصلاح البيئة أو الوسط الإجتماعى للشخص ، علينا أولا أن نهزم
الفقر ونطرد الجهل . لا أن نعظ ونذكر بالأخلاق والروحانية وما إلى
ذلك ظنا منا أن هذا هو الإصلاح :

وما زلت أذكر حادثة رواها مستشار فاضل تبين إلى أى حد أفسد
الفقر والجهل بيئة الإنسان وأعدم أخلاقه وخط من قيمه المعنوية . وهذه
الحادثة تلخص فى أن : « رجلين من أبناء الصعيد جلسا ذات يوم
يلعبان (بالسكوتشيه) فغلب أحدهما الآخر . فقال المغلوب للغالب :
أنت غلبتني بالتزوير . فأحتد الغالب ورد قائلا : لا تصنع من نفسك
رجلا على . اذهب واعمل رجلا فى بيتكم . »

فسار الرجل المغلوب وقد اتتبه الشك والظن وأخذ يسأل نفسه :

لماذا يقول لى هذا الكلام ؟ أعمل رجل فى بيتنا ؟ لماذا ؟ لا بد
وأن أحدا من النساء فى بيتى ليس على صراط مستقيم . ولكن لا يوجد
غير والدتى وأختى . أما والدتى فهى امرأة بلغت من العمر أرذله . إذن
هى أختى ، إنها فتاة كاملة الأنوثة . لا بد أن الرجل الذى قال لى هذه

العبارة يعرف الكثير عن سلوكها الشائن . . . وبغير تفسير ولا ترو
اتجه إلى منزلة واستل سكينا حاداً وانقض على أخته وهي نائمة وذبحها !
ووقف أمام المحكمة الجنايات معترفاً بالاثام وأخذ ببر جريمته بالشرف
والعرض . وجاء تقرير الطبيب الشرعى يثبت أن القتيلة كانت عذراء لم
تمس بسوء . وجاء رجال الحى ونسأؤه يشهدون بأن القتيلة كانت
حسنة السير والسلوك . وجاء الرجل الذى كان يلعب معه والذى قال
له العبارة المذكورة يعترف بأنه لم يلاحظ أى اعوجاج فى سلوك القتيلة
وأنه إنما قال له هذه العبارة على سبيل المزاح لا أكثر ولا أقل . .

وكان نصيب المجرم من العقاب الأشغال الشاقة المؤبدة .

إذا أردنا أن نعرف الدوافع الحقيقية التى دفعت بهذا المجرم إلى
ارتكاب هذه الجريمة البشعة وجدنا ما يأتى - كما قال المستشار الذى أصدر
عليه الحكم .

١ - حالته الاقتصادية : فهو شخص فقير عاطل يكتسب قوت
يومه بالبلطجة بعد أن طرق طرقاً كثيرة من أبواب العمل فسدت كلها
فى وجهه مما اتضح فى محاكمته أمام محكمة الجنايات .

٢ - حالته الثقافية : فهو شخص جاهل لم يجد فرصة يربى فيها
نفسه ويثقفها .

— حالته الإجتماعية : فهو قد فقد عطف أبوه منذ كان طفلاً

إذ تزوج غير أمه وأهمل تربيته كما أن التقاليد التي درج عليها صورت له أن الشرف والفضيلة في حبس المرأة وفرض الحراسة والرقابة عليها .

هذه الحالات المختلفة هي نتاج بيئته التي عاش فيها منذ الصغر .

فبالله عليكم ، إذا أردنا أن نصلح أمثال هذا الشخص فهل يكون السبيل لذلك هو المراءض والخطب في الميكروفونات وتذكيره بالنار والجنة . . إلى آخره . أم يكون بالانقلاب شامل في الوسط الذي يعيش فيه . وهذا الانقلاب لا يكون إلا بتحريره من الفقر والجهل ؟

لقد لفت نظري عبارة في كتاب « لا تخف » للدكتور ادورد سبنسر كولز ، وقفت عندها أتأمل معناها الجامع . هي :

« إن كل تغيير في الخلية العصبية مهما تقل درجته يتبعه لاحالة تغيير في نفسية صاحبها ، وفي مجتمعنا لم يغير الفقر أو الجهل خلايا الانسان العصبية بل أعدها ، فأعدم نفسيته وبث فيها الحيرة والخوف واليأس والحقد والكراهية والغضب . بث فيها كل ما يهدم الاخلاق الروحانية

لقد جاءني أحد الأصدقاء ذات يوم من أيام الجمع — غاضباً ثائراً وقال لي .

تصور أن تحدث سرقة في المسجد الذي كسنا نصلي فيه .

قلت له . كيف ؟

قال — كدنا ننهي من الصلاة حتى سمعنا عراقا خارج المسجد
فخرجنا نستطيع الأمر ، فوجدنا رجلا من بين المصلين قد سرق حذاء
فنظرت إليه فوجدته رث الثياب خافى القدمين .

إن هذا الشخص جلس قاعاً بين المصلين واستمع إلى خطبة الجمعة
التي لا بد أن يكون الخطيب قد ملأها بالمواعظ الروحانية كما هي العادة
في كل خطبة جمعة ولكنه لم يهتم بما سمعه .

ومرة أخرى أقول إذا أردنا أن نصلح هذا الشخص فهل تكون
الوسيلة هي خطبة في الميكروفون أو على منبر المسجد . أم تكون
الوسيلة هي رفع مستواه الاجتماعي والمعيشي ؟

نترك الجواب على هذا السؤال إلى أسيادنا الروحانيين أعداء المادية
الملحده الكافرة !!

إذن لقد كان شوقي مخطئاً كل الخطأ عندما قال .

« إنما الأهم الاخلاق ما بقيت . . . فإن ذهبت أخلافهم ذهبوا ،

كلا . . هذه نظرية خاطئة قلبتها الحياة الحديثة رأساً على عقب .

أجل ليست الأمم باقية بالآخلاق !! وإنما هي باقية بالصناعة والانتاج !
باقية بالقرش والخبز !! باقية بالثراء .. فإن وجد فيها كل هذا ودعها
الفقر ورحل إلى غير رجعة ومن الباب الذي يرحل منه تدخل الآخلاق .
الآخلاق والروحانية العملية الصحيحة لا الآخلاق والروحانية النظرية
المزيفة التي تصلح لأن تكون موضوعاً جميلاً من مواضيع الانشاء
التي يكتبها طلبة المدارس الثانوية !

وإن أبو ذر الغفاري العالم الروحاني العظيم وصاحب رسول الله
عليه الصلاة والسلام ليهدم رأى شوقي هذا في عبارته الخالدة التي تحمل
شتى المعاني وهي : —

« إذا ذهب الفقر إلى بلد ، قال له الكافر خذني معك .. »

وإن توماس بين — أيضاً — الفيلسوف العظيم لينبهنا إلى خطورة
الفقر على كيان الدولة في قوله :

« إن الفقر ليتحدى كل فضيلة ويكتسح أمامه كل أخلاق ، ولا يبقى
غير هذا : كن أو لا تسكن .. »

تري هل سيؤمن الروحانيون والمتباكون على الآخلاق بأن المجتمع
الفقير لا يمكن أن يعرف ولو سراب الروحانية والآخلاق ؟
وقد يسأل القارئ ؟ —

من هؤلاء الذين يدعون إلى الروحانية ويزعمون أنها علاج الشرق ؟

فأجيب بأنهم ليسوا من الفقراء . فالفقير لا يفكر في شيء إلا في أن يأكل ويلبس ويجد المسكن اللائق به كإنسان ، . . هو يفكر في هذا ويتمنى اليوم الذى يرى فيه نفسه يحيا حياة إنسانية محترمة .

ولكن هؤلاء الذين يدعون إلى الروحانية ويحاربون المدينة التى تعترف أول ما تعترف بالمعدة الممتلئة هم : —

(١) فئة من الكتاب والصحفيين وضعوا أنفسهم في خدمة الرأسمالية .

(٢) فئة من الكهنة تتكلم بإسم الذين وتحتسرك المعرفة به وهؤلاء وضعوا أنفسهم كما وضعوا الدين في خدمة الاقطاع . وإذا أراد القارىء أن يتذكرهم فلي تذكر أولا الفتاوى التى كانوا يخرجونها لفاروق !

(٣) فريق من الرجعيين الذين يشعرون بمركب نقص وعقد نفسية أمام كل شيء جاء تنسا به المدنية والتطور . فالروحانية سلاحهم القوى — كما يتوهمون — لوقف هذا التيسار الجارف الذى يجرفنا نحو التطور والارتقاء في شتى نواحي الحياة .

وهؤلاء جميعا تقوم روحانيتهم الباهظة النعسة على ذم الدنيا والتعجب في الزهد والرهبة والدخول في نضال مرير شاق مع طبيعة النفس البشرية بإسم التقوى . وتقوم أيضا على تمجيد الفقر والتعجب إليه ، ولسكنهم لا ينشرون دعوتهم هذه بغير أن يلبسوها أثوابا براقة من الالفاظ المعسولة التى تخدع الجماهير الساذجة المسكينة . تراهم مثالا في تحبيذهم للفقر

يقولون لك كن قنوعا . القناعة كنز لا يفنى !!

وكتولهم أيضا بالعامى (ده الفقير أسعد من الغنى . ده باله مرتاح)
ولعلمهم يقصدون بذلك السعادة الروحانية .

ولما كانت المدنية لاتعترف بهذا النوع الفسكاهى من الروحانية بل
تتعترف بالروحانية الحقة التى تقوم على القيم المعنوية التى ذكرناها وما
تنبع هذه القيم الا من البطون الممثلة ، فقد حاربوها — أى المدنية
ووعتوها بالمادية التى لاتليق بحلال الشرق وسموه .

ولست هنا أتجنى . فامامى الآن جريدة يومية كبيرة وفيها مقال
الكاهن مازال يشغل منصبا دينيا كبيرا بعنوان « الفقر المحبوب !! » .
الفقر الذى كان رسول الله يصبغه باللعة ويمسيه . . . والذى يقول فيه
على بن أبى طالب ما ضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقر ، يدعو
الكاهن « بالفقر المحبوب » .

ولست أدري إن كان هذا الكاهن قد شعر حقيقة بحب الفقر أم لا
ذلك أنه يملك أموالا طائلة تدر عليه إيرادات سنوية ضخمة . . . فمن أين
جاءه الشعور بحب الفقر ؟ أم أن الفسطة والروحانية هى التى أشعرتة بهذا
الحب الملتب ! وهذا الغرام العنيف !! ؟

ولاسمعوا قول كاتب فليسوف فى الروحانية .

« إن الروحانية أسعدت الشرق رغم فقره وقعوده والمادية أشقت
الغرب رغم ثرائه ورقية ،

الله أكبر . . أسعدته بماذا ؟ بالاستعمار قروناً متتالية ؟ بالذل والتأخر
والهمجية ؟ بالجهل والخرافات والحز عبلات التي استشرت بين أبنائه ؟
أسعدته بماذا ؟ هذا ما لم يفصح عنه هذا الكاتب العبقري !!
وكان آخر تستبد به الروحانية وتحلق بروحه إلى السماء فيطلق حكمه
ما أبدعها وما أروعها إذ يقول :

« إن الروحانية تدعو أبنائها أن ينظروا دائماً إلى السماء أما المادية
فتعلم أصحابها النظر إلى الأرض ،

ولكن ليتها حفظ الحكمة التي تقول « إن الذين يقفون على الأرض
ينظرون إلى السماء . أما الذين في السماء فينظرون إلى الأرض ،

إذن فالشرقيون الروحانيون ينظرون إلى السماء لأنهم على الأرض
أما الغربيون الماديون فينظرون إلى الأرض لأنهم في السماء .

وبعد :

لقد آن المجتمع أن ينبذ هذه الخرافة بعيداً . وهي إن جازت
أن تغرر به في عهود الظلام فلا ينبغي أن تظل تنفث سمومها
في عهدنا الجديد العهد الذي يعمل رجاله على إفساح مكانا لمصر في
موكب الحضارة والتطور بجانب الغرب . وطبيعي أننا لا يمكن أن نبليغ
هذا الهدف إلا إذا حشدنا كل قوانا وامكانياتنا لقتل الفقر ورفع مستوى
المعيشة لطبقات الشعب .

التطور والمرأة

« نابليون : مدام إنني لأحب أن
تتحك المرأة في السياسة . مدام كوندرسيه
[لك الحق أيها الجنرال . ولكن من الطبيعي
في بلد تميز فيه رءوس نساءه أن يكون
لهن الحق في أن يساندن عن السبب في ذلك

« ليس للرجل رأس والمرأة نصف
رأس . وليس للرجل عقل والمرأة نصف
عقل ، وإنما يأتي الفارق من تقييدها في
البيت »

جمال الدين الافغانى

هل المرأة انسان ؟

أذكر عندما كنا طلابه في المدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية أن
أستاذ الجغرافيا ظل يعيد ويكرر في شرح موضوع هام ، حتى ضقتنا
ذرعاً وقلنا له :

متى نترك الموضوع إلى آخر ؟
فاجاب :

عندما تخلقون عقولكم وتركبون عقولا تفهم .
تذكرت هذه اللفتة من أستاذنا الفاضل عندما أردت أن أكتب عن
حقوق المرأة . إذ تصورت أناسا كثيرين يسألون :
متى تتركون هذا الحديث المكرر المعاد عن المرأة وحقوقها .
وجوابنا عليهم هو :

عندما تخلعون عقولكم وتركبون عقولا تفهم أن المرأ ، إنسان ، لها
ما للانسان من حقوق .
سنظل إذن نتكلم عن حقوق المرأة وندافع عنها بكل ما أوتينا من
قوة ، ولن نمل ولن نياس حتى تصل إلى المساواة التامة المطلقة بينها وبين
الرجل بغير قيد أو شرط .
واسمعوا :

ليس عندنا أصدق من التاريخ إذا حدثنا وروى ما فيه من وقائع

وأسرار . وهو إذ يتحدثنا عن المرأة ، إنما يلفت نظرنا إلى أنها إنسانة شاركت الرجل منذ أقدم العصور في العمل وأخذت بصلع في كل ما يتعلق بالحياة القبلية وحياة الأسرة ، وكانت للرجل سلاحا ودرعاً ، وكفاها أن تكون أول من أنشأ فلاحه الأرض وأول من اكتشف كيف تنبت الحبة فتثمر في أزمان دورية ، فكان هذا بداية الحضارة الزراعية في العالم أجمع ،

قال ويلز يصف حال الجماعات الأولى .
« على أن أكثر العمل المصنّى الذى كانت تحتاج إليه الجماعات كان من نصيب النساء .

فإن الرجل البدائى لم يكن يفهم للشهامة ولا للنخوة معنى . .

ثم قال

كانت هذه الحال سبباً في أن يذهب البعض إلى القول بأن النساء كن أول من بدأ فلاحه الأرض . وهذا المذهب لا تنقصه المبررات فإن جمع الحبوب ومواد الأكل الخضرية كانت من أعمال النساء فمن اللائق لاحظن أن الحبوب تنمو في الأماكن التي كانت من قبل مخيمات الجماعات .
آخر يكونون قد بذروا الحبوب على وجه الأرض قربانا لاله من الالهة .
عسى أن يعوض عليهم ما بذروا اضعافاً تعد بالمئات ،

ولقد تابعت المرأة خطى التطور الذى لازم الرجل في جهاده الشاق

نحو السكال والمدنية فاذا كان الرجل قد ضحى بالكثير من جهده العقلي والعضلي في بناء أسس الحضاره فكذلك المرأة قد ضحّت بالكثير من جهدها العقلي والعضلي في بناء هذه الأسس بل وضحت أيضا بجهدها النفسى وأمرفت في الانفاق عليها من روحها وعواطفها وانفعالاتها .

وإذا كان التاريخ كما يقول « هاينى » ليس سوى الأظمار الخلقه التي خلفتها روح الانسان على مر العصور . فإن في ثنايا تلك الأظمار من روح المرأة قدرا يساوى ما فيها من روح الرجل .

حررت الأوطان بدماء الرجال وكذلك حررت بدماء النساء وشهد التاريخ للرجل ببطولته وشجاعته وكذلك شهد للمرأة ببطولتها وشجاعتها والتاريخ عندما يروى لنا كيف إشتكت نسييه نبت كعب بن عمرو في حروب الرده وباشرت القتال بنفسها حتى قتل مسيلمه الكذاب وعادت من المعركة وبها عشر جراحات .

وعندما يروى لنا كيف أنقذت أم سلمى المسلمين من هلاك محقق في الحديديه وشهد لها محمد الرسول عليه السلام بفضلها قائلا وهو في غاية السرور والفرح « حبذا أنت يأم سلمى ، لقد أنقذ المسلمون بك اليوم من عذاب اليم ،

والتاريخ عندما يروى لنا عن شجرة الدر التي هزمت جيوش فرنسا وأسرت ملكها لويس التاسع . وعندما يروى لنا عن فتاة في سن العشرين

هي « جان دارك » استطاعت أن تنقذ فرنسا عندما حاصرت الجيوش
الانجليزية مدينة « أورليان » في عهد شارل السابع .

وعندما يروى لنا عن « بيانكا ماريا فسكوتى » التي قادت الجيوش في
حومة الصراع وانحدرت بها إلى المعامع تناضل نضال النمرات .

وعندما يروى عن أعظم تضحية وانبل فداء من مدام رولان التي
كانت من الموهوبات في السياسة والأدب ومن أبرز أعضاء حزب
الجيروند وقدمت رأسها إلى المقصلة مع أعظم رجال فرنسا .

وعندما يروى لنا عن « شارلوت كورداي » الفتاة التي ثارت على
الطغاة وقتلت المجرم « مارا » بعد أن أحال شوارع فرنسا إلى برك
ومستنقعات من دماء الأبرار الذين أرسلهم إلى الجيولتين وعندما يروى
لنا كيف قامت « ليدى هاملتون » بدور خطير في هزيمة أسطول نابليون
في أبي قير .

وعندما يروى كيف ساهمت نساء وفتيات ستالينجراد في هزيمة مجرم
الإنسانية الأول هتلر . الأمر الذي شهد له تشرشل عندما قال .

« إن هؤلاء المردة قد غيروا وجهة الحرب ، وتاريخ الدنيا »

التاريخ عندما يروى كل ذلك وغير ذلك فانما يعطينا أروع شهادة
لنصف البشرية تكلل هامته بالغار .

وقد سبق مصر أمم العالم أجمع في الاعتراف بانسانية المرأة والمساواة

التامة بينها وبين الرجل ، ورفعت المرأة أيضا إلى عرش الممالك .
وظلت المرأة المصرية على هذا الحال حتى دخلت عصر تصور الاستعمار
المختلفه ، وفي كل عصر إستعماري كان المجتمع المصري ينحط حتى
جاء الوقت الذي باغ فيه الحضيض واستتبع انحطاط المجتمع انحطاط
المرأة ، حتى أصبحت تحرس في سجون الحريم من الخسايان والأغوات ،
بل أصبحت محكومة بهم ، وليس يعد هذا تسفل وانحطاط .

ولكن لما نهض المجتمع المصري بعض الشيء ، نهضت المرأة المصرية
بمقدار ما سجله المجتمع من نهضة وارتقاء . وكان من أثر هذا تحطيم
أسوار الحريم وسجونه .

وإنك لا تجد مجتمعا ساليا راقيا إلا وفيه المرأة مستقلة متحررة
تشارك الرجل في الأعمال العامة .

وأمامك المجتمعات التي حررت المرأة واعترفت بإنسانيتها وأشركتها
مع الرجل في الحياة السياسية والاجتماعية ، والمجتمعات التي فصلتها وعزلتها
قارن بينهم لتجد الفرق فرق البعد بين السماء والأرض .

هذا هو الواقع ولسكننا فقر منه ، وندس رؤسنا في الرمال كأنعام
حتى تنعamy عنه ، وننعamy أيضا عن حقائق التاريخ والحياة الحديثة .
ومقتضيات المدنية والتطور ، إما لتقاليد همجية رجعية ورثناها ، أو هممتنا
أن فيها الشرف والفضيلة ، وما فيها شرف إلا سراب نحسبه شرفا ، وما

فيها فضيلة وإنما قشور عفنة نحسبها فضائل .

وتنعى أيضا لعقد نفسية استعبدتنا من المرأة ، ولمركب نقص أذلنا
ولكننا ننعى على أى حال عن إدراك الحقائق على روعتها وبيانها .
ويستعصى علينا أن نرضى العقل والشهوة معاً ، فبدلاً من أن نرضى العقل
نقمعه لتنطق الشهوة .

ما من قضية كبرى من قضايا الحياة الاجتماعية — إحتسكت
فيها شهوات الرجال وأنايتهم وعموا فيها أو تعاموا عن الاعتراف بحقائق
هى من البيان والوضوح بحيث لا تحتل مراة ولا استترابه . مثل قضية
المرأة .

نعم يمضى الرجعيون متعامين عن الحق الواضح الجلى ، قائلين تارة
أن المرأة عاطفية ، وتارة أخرى أن المرأة خلقت للبيت ، وتارة أخرى
يقولون بالدين والتقاليد . يقولون هذا دون أن ينظروا برهة إلى الماضى
ليروا الفارق الكبير الذى يفصل زماننا ، والزمان الذى راجت فيه هذه
الاقوال ، والآراء ، وكأن الزمن لا يتقدم ، وكأن الأرض لا تلف
حول الشمس ، وكأنما تطور الأشياء عضوياً ومعنوياً ليس له أثر فى
حياة القرن العشرين .

بمثل هذه العقلية المحجبة ننظر إلى المرأة ، وقد نسينا إلى جانب هذا
بعض الحقائق الواضحة . كانت المرأة محجبة وجهاً وعقلاً فأسفرت ،
وأصبحت سيدة ومحامية ومهندسة وطبيبة وصحفية وأستاذة وموظفة ،

واندجت في المجتمع تراحم الرجل بالمنكب والذراع . ثم بعد هذه الحقائق كلها نجد من يتبعج ويقول لها : لا إناك خلقت للبيت ولا يجب أن تتمتع بحقوقك السياسية !

ونحن في الظلم ونصر عليه ، ونأق برجل جاهل أمى ما زال يحمل يدين لا تعرف كيف نخط اسمه ونعطيه الحقوق السياسية ونحرم المرأة المصرية المشقة هذه الحقوق !! لماذا ؟ لأن المرأة المصرية خلقت للبيت وكتب عليها أن تظل عبدة تباع وتشترى وتنكح إنسانيتها علناً ، باسم المحافظة على البيت !! وباسم المحافظة على الدين والغيرة على التقاليد !!

ترى أكان المتنبئ كاذباً أم صادقاً عندما قال :

وكم بمصر من المضحكات . ولكنه ضحك كالبكاء .

ولست أدري إن كانت المرأة المصرية في نظر الرجعيين إنسان أم لا ؟ ذلك إنها إما أن تكون إنساناً أو لا تكون .

فإن كانت إنساناً فيجب أن ننظر إليها على اعتبار أنها مساوية لإنسان آخر خلق من طين كما خلقت من طين . وحملته أمه تسعة أشهر كما حملتها أمها تسعة أشهر .

هذا الإنسان الآخر هو الرجل ..

وإذا لم تكن إنساناً ، فلم هذه الضجة التي تثار كل يوم حول حقوقها السياسية والاجتماعية ؟ ولم لا نخدم أنفسها بالقوة حتى نستريح منها

ونزيجها منسا ؟ ولم لا نرجمها إلى الحريم من جديد لتسكون زهرية جميلة
تتمتع بمنظرها أو سحابة جميلة ندوس عابها ؟ ولم لا نبعث تجارة الرقيق
من مرقدها لنأتى بالأغوات والخصيان ليحرسوا لنا هذه البضاعة التى
أدخلناها الحريم ١ ؟

لقد انحطت والله عقلية هؤلاء الذين يقفون أمام نهضة المجتمع ممثلة
فى نهضة المرأة حتى فاقت فى انحطاطها عقلية القبائل البدائية . لأنك
لو جئت برجل من هذه القبائل وسألته هل المرأة إنسان لها مثل
ما للرجل من حقوق ؛ لأجابك بالفطرة التى يحيا عليها ، نعم إنها إنسان لها
مثل الذى للرجل ومن لا يعتبرها كذلك فهو الحيوان .

فمن الرجال يريد أن يكون حيوانا ؟ لا أعتقد أن أحدا يرضى أن
يكون كذلك .

المرأة إذن إنسان كالرجل تماما ، وعن هذا الأساس أو من بوجوب
تساويها مع الرجل فى جميع الحقوق والواجبات سياسية واجتماعية .

ولإن الرجعيين فى معارضتهم حقوق المرأة بتشعبون كالأخطبوط .
فنهم من يقول أن المرأة لا تصلح للأعمال العامة لأن الطبيعة فرقت بينها
وبين الرجل فى التكوين الجنائى ، كما أنها عاطفية لا تحسن الرأى والتدبير
ومنهم من يقول أن المرأة خلقت للبيت .

ومنهم من يقول أن التقاليد الشرقية تمنع المرأة من مباشرة الحقوق
السياسية .

ومنهم من يقول أن الدين لا يسمح .

ومنهم من يقول أن المرأة المصرية ما زالت جاهلة ١

والجميع تربطهم رابطة الخوف من فقد السيطرة على المرأة ، تلك السيطرة التي نظنها — نحن الشرقيين مقياس رجولتنا وشهامتنا ، وما هي إلا مقياس لتأخرنا وانحطاطنا . وجدير بنا أن نفند حجج هذا الأخطبوط حجة بعد حجة ، تاركين للقارىء الكريم أن يحكم بيننا وبينهم إذا حرر عقله من شلل التفكير وأبعد عنه التعصب والتحيز .

لا أثر لعاطفية المرأة في الأعمال العامة : —

فقد أثبت العلم الحديث أنه ليس بين الرجل والمرأة فروق سوى هذه الأشياء ،

(١) أعضاء التناسل .

(٢) قلب المرأة أقوى من قلب الرجل .

(٣) الحوض عند المرأة أكبر في نسبته إلى الجسم منه عند الرجل

(٤) الأجزاء العليا من الساقين تختلف في تركيبها عند الجنسين ،

(٥) المرأة في تنفسها تجتذب الأنفاس من أضلاع الصدر أكثر

منما تجتذبها من جوفها على عكس الرجل في ذلك ؛

(٦) حنجرة المرأة أصغر من حنجرة الرجل ولذلك اختلفت نبرات صوتها عن صوته .

(٧) العمود الفقري للمرأة أقل طولاً من العمود الفقري للرجل .

هذه هي الفوارق الطبيعية بين المرأة والرجل :

والآن نريد أن نسأل :

هل تمنحها هذه الفوارق من الاشتراك في الحياة العامة ؟

هذا ما لم يقم الدليل عليه في جميع الدول التي منحت المرأة حقوقها السياسية والاجتماعية كاملة .

ولقد كان الرأي الذي يسود المجتمع في جميع الدول . أن المرأة لا تصلح إلا لفراش زوجها وأن الطبيعة خصتها بالبيت . حتى إذا اشتركت مع الرجل في جميع نواحي الحياة العامة بهرته بعقلها وأدهشته بامكانياتها ، واثبتت له أن العاطفة التي يرميها بها الرجعيون ليس لها أثر في أعمالها العامة ، وقدمت لذلك الدليل من الواقع المشاهد . . والواقع المشاهد أنه عندما أعطيت حقوقها السياسية كاملة في بلاد كانجاستره والولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وتركيا والباكستان وأندونيسيا والهند وسوريا وإيطاليا . . . الخ لم ينتج من ممارستها هذه الحقوق أى ضرر بمصالح تلك الأمم .

ولقد ذهبت المرأة إلى أبعد من ذلك وأثبتت قدرتها على منافسة الرجل في سياسة الملك ، وفي السياسة العالمية الدولية .

ففي سياسة الملك نجد نساء ارتفعن ببلادهن إلى ذروة المجد والعظمة (كارياتريزا) امبراطورة النمسا ، وكاترينا الثانية ، امبراطورة روسيا التي كانت تلقب بـ « كاترين الأكبر » ولقبها « فولتير » برجل أوروبا العظيم . وقال عنها « ديدروه » :

« أنها تحمل تاجا له في المجد شعب ثلاث . مجد الفاتح . ومجد المؤسس المشيد . ومجد المشرع » .

والمملكة الیصابات ملكة إنجلترا ، وفكتوريا التي في عهدا بلغت بريطانيا ذروة مجدها وعظمتها .

وفي السياسة العالمية الدولية نجد المرأة تلعب دوراً خطيراً ، هو مساهمتها في اقرار السلم الدولي ،

وقد كانت أول سيدة بذلت جهوداً لمنع الحروب بين الدول ، هي « فردريك بريمر » ، إذ كونت سنة ١٨٥٤ اتحاداً عالمياً هدفه الأول العمل على اقرار السلم وفض المنازعات الدولية .

ثم تبعتهما « مدام برتافون سوتنتر » في هذا الصدد — والفت كتابا بعنوان « القوا السلاح » ، كان له دوى كبير . واعترفا بفضلها نالت جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٠٥

وفي سنة ١٨٨٨ تأسس في أوروبا المجلس النسائي الدولي لفض المنازعات الدولية ، وقد نص في دستوره على أن هيئة لا تبث الدعوة لسياسية معينة ولا لصالح دولة معينة . بل تعمل على أساس المبدأ القائل « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » ، وإن على هذه الهيئة أن تبذل كل نشاطها في تطبيق هذا المبدأ على الحياة الاجتماعية والعادات والتشريع .

وقد رأت هذا المجلس « الليدى ابردين » ، وكان له أعضاء وفروع في معظم دول أوروبا وأمريكا :

ولعل الكثيرين يعلمون أن الرئيس ولسن استوحى مبادئه التي تقدم بها لانتهاء الحرب العالمية الأولى من قرارات مؤتمر نسائي انعقد في امريكا سنة ١٩١٥ للدعوة إلى وقف الحرب ؛ ورأسته « مسز جين آدامز » التي نالت جائزة نوبل للسلم سنة ١٩٣٢ تقديراً لجهودها وكفاحها العظيم في هذا الصدد .

هذا المؤتمر انتقل إلى لاهاى وضم نساء الدول المتحاربة في ذلك الوقت وهي بريطانيا ومانيا وفرنسا وبلجيكا وروسيا وايطاليا واننا لنعجب كيف يجتمع في مكان واحد نساء دول متعادلة لازالت ناشبة بينها الحرب ولكنها الغاية النبيلة التي لا تتأثر بعاطفة أو حقد أو كراهية : الغاية إلى السلام .

وللمرأة فضل آخر على الانسانية إذ هي التي دفعت إلى الغناء الرق

نهائياً من الولايات المتحدة ، فإن كتاب « كوخ العم سام » الذى ألفته
« مسز بتشر ستون » أهاج الضمير الانسانى والشعور البشرى ، فتقدم
الرئيس « ابراهام لينكولن » وألغى الرق وحرر العبيد مخلداً اسمه بين
أبطال التاريخ .

وإذا انتقلنا إلى الهند لنرى جهاد المرأة لتحرير وطنها رأينا العجب .
وإن أنصح الجميع الذين يقولون بعدم صلاحية المرأة أن يقرءوا شيئاً
من تاريخ كفاح المرأة الهندية لعل حمرة الخجل تظهر على وجوههم ولو قليلاً .
وإذا كانوا مصرين على تكذيب التاريخ وعدم الاعتراف به ،
فلينظروا إلى الواقع الحاضر بأن يرسلوا أبصارهم إلى ما وراء البحار ،
عليهم يروا « مسز بانديت نهرو » وهى جالسة على كرسى الرئاسة فى أكبر
هيئة دولية عالمية . واعتقد أن وجود هذه السيدة العظيمة على رأس
هيئة الأمم المتحدة ، مثل حى جدير بأن يوبخ المفترين على المرأة ويسخر
منهم ويستهزئ بهم .

ونريد أن نسأل :

هل عملوا بالحوادث التى جاءتنا من جيانا أم أنهم من سكان المريخ
لا يشعرون بالاحداث التى تجرى فى العالم ؟

إن فيها ما يخجلهم وما يحقر عقولهم ... فيها أن امرأة قادت حركة
التحرير ضد بريطانيا .. فيها أن الأسطول البريطانى قد تحرك إلى جيانا

بسببها .. فيها الأدلة الكافية على أن المرأة تصلح لكل الأعمال العامة التي يباشرها الرجال ... فيها أن العاطفة التي ترمى بها المرأة كذباً وزوراً لا تحول بينها وبين صلاحيتها لمشاركة الرجل في الحياة العامة ... فيها أدلة عملية لا يستطيع أى مكابر أن يعارضها أو يهدمها ولكنه فقط يتعمى عنها كما يتعمى دائماً عن الحقيقة والواقع .

ونستطيع أن نجد في الاسلام دليلاً آخر يدفع حجج القائلين بعاطفية المرأة وما ينتج عنها من اساءة الرأى والتصرف .

لقد أعطى الاسلام المرأة الحرية المطلقة في إدارة أموالها والتصرف فيها بكافة أنواع التصرفات القانونية بغير تدخل من زوجها .. أجل أعطاها هذه الحرية متى كانت أهلاً لمباشرة التصرفات القانونية . فلماذا لم يقيد الاسلام حريتها — في هذا الصدد — بحجة أنها عاطفية لا تحسن الرأى والتدبير ؟

إن عاطفة الانسان وما ينتج عنها من اساءة التصرف ، إنما تظهر بوضوح في دائرة المعاملات المالية أكثر من ظهورها في أى مجال آخر . إذن سفسطة الرجعيين يجب أن تؤذن بالانتهاء . وإلا فإن عقولهم في حاجة إلى الرئاء والبكاء .

ولم تخلق للبيت . . . بل للامة :

ومن الرغبة في كبت المرأة ، ومن الشعور بالنقص والعقد النفسية ، ومن النظرة الجنسية البهيمية التي اشتهرنا بها كشرقيين ، تدفقت كالسيل

نظرية مقيمة تقال للشعب في كل مكان .. في المنزل وفي المسجد وفي
الكنيسة وفي الإذاعة وفي دور الجمعيات الدينية وفي الشارع وفي المقهى .
أن المرأة خلقت للبيت وللبيت وحده .. خلقت كي تخدم زوجها وتقدم
له فروض الطاعة والولاء !!

ولسوء حظ القائلين بهذه النظرية أنها لم تعد تقنع أحداً في الغرب
ولا في أى مجتمع متحضر ، بل لم تعد تقنع العقول المتحررة في مصر
التي تنزايد باستمرار .

وما أنعمهم ... أجل ما أنعمهم ، لقد هدم الواقع هذه النظرية
وجردتها الحقيقة من مقومات بقائها في المجتمعات المتحضرة ، ففنت كما
تفنى فقائس المستنقعات ، وغامت ذكرى القائلين بها وراء حثيات من
التراب الذي أثارته أقدام الطلائع الزاحفة من النساء إلى الحياة العامة .

وما أحسب أصحاب هذه النظرية إلا من محترفي التجارة بالرجعية .
وكثيراً ما أسمعها من كهول وشيوخ فالتمس لهم العذر ، فقد عاشوا في
زمن الحريم وتربوا على أيدي الأغوات المخلصين ورسبت فيهم افكار
هذا الزمن الأغبر ، وتصلبت فيهم عوائده وتقاليده . ولكن مما يؤسف
له أن يردد بعض الشباب هذه النظرية الطائشة كالبيضاء . وذلك أن
المفروض أن يكون الشاب متحرر العقل بعيداً عن الافكار الجامدة
والتيارات الرجعية .

ونحن نصف هؤلاء الشبان حال المرأة عندما كانت هذه النظرية

مترجمة إلى الحقيقة والواقع .

تشرف إذا أقدمت على قصر من قصور الحريم في القاهرة على باب ضخم بُني خشبه بمسامير غلاظ من الحديد ، يوحى إليك منظره ولو من طريق الوعى الباطن ، أنه شيء خارج على الطبع وعلى الضرورة . ويمتد من وراء هذا الباب دهليز طويل مستوف يسمى « السباط » وعند نهايته باب آخر يسمى « باب الخوخة » .. هذا الحد فاصل بين دنيا الأموات ودنيا الأحياء . أى بين عالم النساء وعالم الرجال .

وعلى « باب الخوخة » يقف حارس منتصب القامة أسود اللون هو الأغا . والأغا هو الحاكم بأمره ، المستبد برأيه ، وسلطته هذه يستمدّها من موافقة صاحب القصر . فإذا تجاوز الفتى سن العاشرة ، وإذا وصلت الفتاة سن الثامنة ، فالأول يمنع من المرور من باب الخوخة ، أما الثانية فيوصد عليها باب يسمى ، « باب الحريم » حيث تعيش إلى آخر العمر لأنها قد بلغت سن الشك في عفافها وشرفها (١) 11 ولا نقف سلطة الأغا أو الخصى عند حد التحكم في الفتيان والفتيان ، بل تمتد إلى السيدات جميعا بدون استثناء ، أى حتى زوجة صاحب القصر أو زوجاته الأربعة .

وما ذلك الأغا والخصى إلا عبد خطيف من أهل الجنوب ، اجتزت

مذاكيره ليكون صاحب القصر في مأمن من نزوات نسائه ١١

أى عقد نفسية تقوم في نفس المرأة في مثل هذه البيئة؟ وأية أحاسيس تتناولها؟ وأية خيالات تساورها ليلا ونهاراً؟ لا أعتقد أن مثل هذا فيه من الخير شيء!

تلك هي الصورة التي يتخيلها أولئك الذين يقولون أن المرأة خلقت للبيت .

يريدونها مخلوقا مترهل الجسم ، فطر النزعات ، ميت الأحاسيس ١١
يريدونها غسالة وخادمة وطباخة وحاملة قمامة من بيوت حضراتهم!
يريدونها للزينة والمتعة والشهوة الجنسية ١١

أليس هذا ما تريدون المرأة عليه أيها القائلون بأن المرأة خلقت للبيت؟
سيقول بعضهم لا . إنما نريد المرأة معززة مكرمة متعلمة ولكن
لا تباشر عملاً في الحياة العامة لأن ذلك يصرفها عن البيت والاشراف
على أولادها .

وهذا القول لم يعد له سند من الواقع ، إذ ثبت أن اشتغال المرأة
في الحياة العامة في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وسوريا ولبنان
وأندونيسيا والباكستان ... الخ — لم ينتج منه ضرر على البيت .

وأى ضرر يصيب البيت من ذهاب المرأة كل أربع سنوات أو خمس إلى
لجان الانتخاب لاعطاء صوتهما ؟

وأى ضرر عليه - أيضاً - من جلوسها في البرلمان مدة ساعتين أو ثلاثة كل أسبوع ... ثم أن اشتغال المرأة المصرية في الوظائف العامة لم يجر الخراب على منزلها أو يهدم حياتها الزوجية .

وإن أردتم الدليل نخذوه من احصاءات الطلاق، إذ تسجل أن نسبة الطلاق يكاد ينعدم في أوساط السيدات المثقفات المشتغلات في الحياة العامة . وأظن أن هذا دليل قوى يوفقاً عين كل مكابر اللهم إلا إذا أغمض عينه حتى لا يراه .

إن هؤلاء المساكين لم يدركوا بعد ، أننا نعيش في عصر أساسه اقتصادى بحت ، وأن مستوى المعيشة قد أثبت أنه غير قادر على الارتفاع إلى درجة تليق بأمة متقدمة ، إلا إذا عمل كل إنسان قادر في الدولة . أى إذا اشتغلت المرأة أيضاً كما هو الحال في البلاد التي سبقتنا إلى الحضارة والرقى .

وإن الولايات المتحدة مثلاً ما كانت تبلغ بمستوى معيشة الأسرة ما بلغته من ارتفاع كبير إذا كانت قد عطلت نصف شعبها عن العمل واقتصرت على النصف الآخر . والحياة الزوجية المستقرة تتطلب أولاً دخلاً معقولاً . ولا استقرار لحياة مؤسسة على دخل لا يسعف الأسرة في نفقاتها .

ولما كانت الحياة الاقتصادية قد أوضحت لنا — وما زالت — عجز

الرجل وحده عن إيجاد المال الذي يرتفع بمقتضاه مستوى معيشة أسرته إلى الحد المعقول ، فلا حرج — بعد ذلك — إذا نزلت المرأة إلى ميادين العمل المختلفة لتساهم هي الأخرى في رفع مستوى المعيشة .
وخذوا هذا المثال البسيط :

موظف مرتبه الشهرى ٢٠ جنيهًا ، متزوج وله أولاد . ماذا يفعل إذا لم يغط هذا المبلغ نفقاته الضرورية من مسكن وملبس وماكل وعلاج هل يسرق أو يرتشى ؟ أم تخرج زوجته إلى العمل لتكتسب هي الأخرى عشرين جنيهًا ويصبح دخل الأسرة أربعين جنيهًا وبذلك يرتفع مستواها المعيشى عما كان عليه ، فتستطيع أن تحيا حياة أسعد ؟

ألا أن لعنة الله على هؤلاء الرجعيين إذا ما فضلوا أن يسرق هذا المسكين أو يرتشى على أن تنزل زوجته إلى ميدان الأعمال لتكتسب ؟ وليس ارتفاع مستوى المعيشة — فقط — هو الذى يتطلب أن تعمل المرأة بل تأتى ضرورة أخرى تحتم على المرأة أن تشتغل .

هذه الضرورة هي حماية مستقبلها من عبث الرجل . . . أجل إن المرأة لتضع مستقبلها وحياتها على كف القدر إذا ما قبلت أن تكون عالة على زوجها . خصوصًا إذا نسكبت بزواج مستهتر لا يراعى شعورها ولا يحافظ على كرامتها .

وإذا فرضنا — وهذا يحدث كثيرًا — أن تخلى عنها زوجها ورامها

فى عرض الطريق ؟ فماذا تفعل إذا لم يكن لها مورد مستقل ؟
تحترف البغاء ؟ تسرق ؟ تباع أوراق اليا نصيب فى الشوارع والميادين ؟
ماذا تفعل أيتها الرجعية الرشيدة ؟ هل ستطعمينها وتسكين عورتها
وتنفقين على أطفالها بخز عيالاتك وأراجيفك وتقاليديك ؟

ولست أعرف والله ، أى عدل أو قانون أو أى ضمير يعطى للرجل
الحق فى أن يكتسب مما يجعل له اليد العليا على المرأة ، بها يذلها ويستعبدها
ولا يكون للمرأة نفس هذا الحق ليسكون لها من الاستقلال الاقتصادى
ما تتحصن به من عبث الزوج واستهتاره ؟

الهم لاجق ولا عدل ولا قانون ولا ضمير حتى يمنع المرأة من هذا
الحق . وإنما يمنعها منه تقاليد درجنا عليها ولزمتها غير شاعرين أن زمنها
قد ولى وانقضى متعامين عن أن حقائق الحياة قد عصفت بها وأن تيارات
المدنية والتطور قد زرتها فى الفضاء رمادا .

والان إلى هؤلاء الذين يتمسحون فى الدين !

الدين . . . مظلوم

ما كنت أريد أن أقحم الدين فى موضوع المرأة ، خصوصا بعد أن
اعترفت تركيا والباكستان واندونيسيا وسوريا بكافة الحقوق السياسية
والاجتماعية للمرأة .

وكل هذه الدول تعتنق الدين الذى نعتنقه مع فارق كبير هو أنها لا تتاجر به أما نحن فقد عرفنا جيداً كيف تتاجر بالدين وكيف نكسب ونربح الأموال الطائلة من هذه التجارة ، وما هذه الأموال الا حب الظهور والنفاق والكذب والتغريب بعقول الجماهير الساذجة !

لقد خرج نساء العالم المتمدن إلى الحياة العامة يساهمن فى توطيد أركان الحضارة والتقدم ، وزيد لهنسائنا أن يكن قعيدات البيوت ، وأن يظللن كالكائنات المنحطة ، وأن يمضين ذليلات حقيرات بعيدات عن الحياة ، مقصورات على الطبخ والغسل وحمل القمامة إلى خارج الحجرات والمنازل ، ثم نقول أن ذلك حكم الله !!! وما هو حكم من الله . وإنما حكم عقولنا الجامدة التى لا تريد أن تسير الزمن وتبغى أبداً أن تظل مأسورة فى حلقة مفرغة من الأفكار البالية والتقاليد الموروثة .

لقد اتخذ تجار الدين من بضعة نصوص أشير بها إلى حالات قامته فى عصور غابرة ، سبيلاً إلى استعباد المرأة استعباداً أبدياً ، واختلقوا تفسيرات ترى المسلمين إن صحت — بالهمجية والجمود والفوضى .

ولقد وصمت مجلة « تايم » الأمريكية — التى توزع أكثر من خمسة ملايين نسخة فى الأسبوع — المسلمين بالتأخر والجمود عندما قالت — فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٢ — فزعمت أن دينهم حرم المرأة من التعليم وفرض عليها أن تلزم بيتها ومنعها من الاشتراك فى الحياة العامة ... الخ .

واستندت المجلة العالمية المذكورة في قولها هذا . على الفتوى التى أصدرها الازهر بخصوص المرأة .

ولكن سيان عند تجار الدين أن يصور الاسلام فى صورة تعصب وتزمت وجود أم لا يصور ، مادامت هذه التجارة تخدم أغراضهم وتشبع شهواتهم وترضى جهلهم المطبق .

وتعالوا نتمعقهم فى النصوص والاحاديث التى يستجيرون بها وتأتى إلى أن تخذلهم .

الرجال قوامون عن النساء

إذا نحن قلنا البرلمان قيم على الحكومة فهل معنى هذا أن الحكومة ليس لها حقوق سياسية تباشرها ؟

ومع ذلك هذه الآية لا تدخل لها فى الحقوق السياسية للمرأة أى أنها لا تنهض دليلاً ولا قرينة على حرمان المرأة من حقوقها السياسية . والدليل على ذلك :-

(١) إن هذه الآية كانت محفوظة فى قلب كل مسلم ومسلمة فى صدر الاسلام . ومع ذلك كانت المرأة تشارك الرجل فى المجتمع والحياة العامة

(٢) إن قوامة الرجل المذكورة في هذه الآية قوامة خاصة محصورة في دائرة الحياة الزوجية فقط . ومعناها أن الرجل هو المكلف بالانفاق على زوجته وأولاده ورعايتهم والدفاع عن مصالحهم . وهذا في نطاق المساواة التامة بين الزوجين ، أى أن هذه القوامة لا تبيح له سلب إرادة الزوجة وحربتها في التصرف . فحقها في إبداء رأيها السياسى - مثلاً - لا سبيل للزوج عليه .

وقد فسر الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قوامة الرجل على المرأة بقوله :

« أن القوامة في الآية لا تعنى أكثر من إشراف الرجل على زوجة وأهله إشرافاً يقوم على إحترام حق المرأة في الرأى والتصرف ، . وإلى هذا المعنى ذهب الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا . وقوامة الزوج على زوجته مشروطة بشرطين : -

الاول : أن ينفق من ماله عليها وعلى أسرته بدليل قوله تعالى في الآية « وبما انفقوا من أموالهم ،

الثانى : أن يكون زوجاً فاضلاً ، فليس لزوج عايب مستهتر قوامه على زوجه فاضله بدليل قوله تعالى في نفس الآية .

« وبما فضلنا بعضهم على بعض ،

وهذا الدليل يستنتج عقلاً من هذه العبارة : فهل الزوج العايب الذى

لا يرى حرمة الحياة الزوجية جدير بأن يكون قima على زوجة تفضله أخلاقاً وعلماً ؟ لا يمكن . بل إن هذه القوامة تسقط عنه ، وتكون زوجته أجدر وأخلق بأن تكون قيمة عليه وعلى أسرتها وأولادها . بل وعلى ثروته وشئونه ومعاملاته . وكثيراً ما رأينا زوجات قد أصبحن وصيات أو قيمات بأحكام القانون والشرع على أزواجهن .

ونحب أن نذكر هنا أن قوامة الزوج على زوجته لا تمتد اطلاقاً إلى أموالها ، فهي تستطيع أن تصرف فيها بكافة أنواع التصرفات القانونية دون الرجوع إليه . ونحن نستدل من ذلك على أن قوامة الرجل تدور في أضيق الحدود .

والخلاصة أن هذه الآية ليس لها دخل من بعيد أو من قرب في موضوع حقوق المرأة السياسية . وما دام الأمر كذلك فعلى الرجعيين أن يكفوا عن التمسك في هذه الآية التي تتخذهم خذلاناً مبيناً .

(٢) آية « النساء شقائق الرجال لمن مثل الذي عليهن بالمعروف

وللرجال عليهن درجة » .

تصيد الرجعيون هذه الدرجة ، وزعموا أن الدين يرض المساواة بين الجنسين . وقولهم هذا غير صحيح .

إن الدرجة التي أعطاها الله للرجل إمتياز هائل ، لأنه ينفق من أمواله على زوجته وأولاده . أو المفروض شرعاً أن ينفق ولو كانت زوجته تفوقه مالياً .

وإذا أمعنا النظر في الأمر نجد أن الله قد أعطى للمرأة حقاً يقابل الإمتياز الممنوح للرجل ، هذا الحق هو الاتفاق عليها من مال زوجها . وبعبارة أخرى ، درجة على زوجته يقابلها حق للزوجة عليه .

إذن فهذه الدرجة لا تعدم المساواة التامة بين الزوج وزوجته أو تقلل منها .

يقول الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا .

« فهذه الجملة تعطى للرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشئون والأحوال . فإذا هم بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله بأزائه » ولذا قال بن عباس إني لأتزين لزوجتي كما تتزين لي ... وليس المراد بالمثل المثل لأعيان الشيء . وإنما أراد أن الحقوق بينهما متبادلة وإنهما أكفء فها من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها . كما أنهما يتماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل . أى أن كلامهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه . وقلب يجب ما يلائمه ويسر به ويكره ما يلائمه وما ينفر منه ، فليس من العدل أن يتحكم أحد الجنسين في الآخر ويتخذة عبداً ويسخره في مصالحه ، لا سيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه . »

ويذهب العالم الفاضل إلى القول بأن رياسة الرجل في البيت شورية

لا إستبدادية بمعنى أن لا يستبد برأى ولا أمر من الأمور دون استشارة زوجته وتلقى رأيها فيه ، (١) .

إن هذا العالم الفاضل ، عندما قال هذا الكلام لم يكن متأثراً بروح العصر الذى نعيش فيه ، فقد أمضى حياته فى زمن النقاب والحريم . ولكنه يقول هذا على أساس الفهم الصحيح للدين .

لقد خرجنا عن موضوع حقوق المرأة السياسية ، ولكننا نعمدنا ذلك ، حتى نقطع على القطيع الرجمى كل طريق فى تفسير هذه الآية . ولنبين لهم أنها آية تتصل بتنظيم الأسرة ولا تمنع المرأة من حقوقها السياسية .

٣ - آية للذكر مثل حظ الأنثيين :-

هذه الآية لا يستدل منها على عدم المساواة بين الجنسين أو التقليل منها . ذلك أنها تحصر العمل بمقتضاها فيمن يكونون من جنس واحد . كالأب مع الأم ، والأخ مع الأخت . إذا لم يكن ثمة وارث سواهما .

وهذه التفرقة تقتضيتها الضرورات الاقتصادية . فالمعروف أن الرجل هو المكلف شرعاً بالنفقة على الزوجة والأولاد . وقد يكون له غير

(١) راجع كتاب « نداء إلى الجنس الطيف وأحقوق النساء فى الاسلام ، الاستاذ الشيخ رشيد رضا .

هؤلاء من الأقارب الأقربون ، تقتضى الضرورة الانفاق عليهم .
ولما كان الرجل ممنوعاً من أن ينفق من مال زوجته اللهم إلا إذا
قبلت . لذلك أراد الشارع أن يمكنه من القيام بهذا الواجب على أكمل
وجه فجعل له نصيباً مضاعفاً من الميراث . وإذا أمعنا النظر قليلاً وجدنا
الشارع يكمل ما نقص المرأة من ثلاث نواحي :

أولاً : — بما يدفعه الزوج لها من مهر

ثانياً : — بما حددته الشارع لها من ميراث زوجها .

ثالثاً : — حقها في توفير مالها الخاص واستثماره وتنميته ، وبهذه
الوسيلة تستطيع تعويض ما نقصها بل وتفوق زوجها مالياً ، في الوقت الذي
يستهلك هو ماله للنفقة عليها وعلى الأسرة .

حقيقة أن هذا لا يحدث الآن . فالزوجه إذا امتلكت شيئاً تساهم
في النفقة على الأسرة ، بل يحدث أحياناً . أن يسطو زوجها على مالها
ويبيذه أو يهبه بغير وازع أو ضمير . ولكن مالدين وهذا ، إنه عندما
أعطى الرجل الضعف من الميراث إعتبر الاعتبار التي ذكرناها .

وبالرغم من أن الشارع حدد للرجل الضعف . هل يذهب دائماً
به ؟ كلا .

روى عطاء :

أن سعد بن الربيع استشهد وترك ابنتين وزوجه وأخاً ، فأخذ أخوه

المال كله فأنت الزوجة ومعها البنتين إلى الرسول وقالت :
يا رسول الله : هاتين ابنتي سعد بن الربيع ، استشهد أبوهما في أحد
وقد أخذ عنهما المال كله .

فدعا الرسول العم وقال له :

(اعط ابنتي سعد الثلثين ، واعط أمهما الثمن ، وما بقي فهو لك) .
وكان هذا الباقي أقل من السدس ؟ (١) .

فمن الذي استأثر بنصيب الأسد في الميراث ! اليست الأثني .
٤ — آية (فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) :

يأخذون من هذه الآية الكريمة دليلا على أن للمرأة شأننا أدنى من
الرجل في الحياة العامة . لأن الشارع لا يكتفي بشهادة المرأة الواحدة في
حين يكتفي بشهادة الرجل الواحد .
ونحن نسأل هؤلاء العباقرة !!

هل تجوز شهادة الزوج على زوجته ؟ إن أبي حنيفة يرفض هذه
الشهادة مع أن الزوج رجل .

هل تجوز شهادة رجل من البادية على رجل من أهل الحضر ؟

أن الرسول عليه السلام يرفض هذه الشهادة إذ يقول :

« لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية ، وإلى ذلك ذهب الامام

مالك . فلماذا أليس البدوي رجلا ؟

(١) أصول الفقة — الاستاد الشيخ عبد الوهاب خلاف — استاذ الشريعة بكية
الحقوق بجامعة القاهرة .

وهل تجوز شهادة الأب على ولده ؟
 لماذا إذن لا تجوز شهادة هؤلاء جميعا وهم رجال .
 إنها لا تجوز لاعتبارات قانونية صرفه لاحظها الشارع ، واقتضت
 أن يكون نصاب الشهادة في بعض الأحوال بالنسبة للرجل أو المرأة
 أربعة رجال كما هو الحال في جريمة الزنا .
 هذه الضرورة القانونية البحتة هي التي جعلت للرجل الحضري مزية
 في أن لا يشهد عليه الرجل البدوي .
 وهي الضرورة نفسها التي جعلت للزوجة مزية في أن لا يشهد
 عليها زوجها .

وهي الضرورة نفسها التي جعلت للابن مزية في أن لا يشهد عليه أباه .
 وهي الضرورة نفسها التي جعلت للمرأة الزانية مزية في أن لا يشهد
 عليها إلا أربعة رجال .

وهي الضرورة نفسها التي جعلت نصاب الشهادة لمرأتين أو رجل .
 والمزية لا تقتضى إلافضالية كما يقولون (١) .

٥ — آية « واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » .

نشرت مجلة روزاليوسف أن بعض المغفلين هتفوا في وجه الدكتورة
 درية شفيق بهذه الآية وهي تدعو للمرأة وحقوقها السياسية في إحدى
 مدن الصعيد .

وكل عاقل يدرك تمام الإدراك أن هذه الآية لا تتصل من قريب
 أو من بعيد بموضوع حقوق المرأة .

وبالرغم من ذلك سنتكلم عنها بإيجاز لأن بعض الهمجيين يظنون أن هذه الآية تبيح استعباد المرأة .

لقد أثير بحث في مسألة ضرب الزوج زوجته عندما تقدمت زوجة إلى محكمة روض الفرج في العام الماضي تطالب الطلاق لأن زوجها اعتدى عليها بالضرب . فحكمت المحكمة بالطلاق . وقد جاء في حكم المحكمة :

« إن العلماء اتفقوا أن الضرب المباح ، غير المهرج وحدثوا آلة الضرب بأنها يجب أن تكون في حجم السواك . وأن تصنع من مواد خفيف الوزن في سمك الأصبع الخنصر . ولا يزيد طولها على الشبر . ويبنوا أنه لا يجوز ضرب الزوجة على وجهها بهذه العصا الصغيرة ... ولا تضرب بها مرتين على موضع واحد من جسمها . وبعد كل هذا هذا التخفيف ، أجمع علماء المسلمين على منع للضرب مهما خالفت زوجها » .

وأحب أن أقول لمن يتمحكون في هذه الآية أن تحت يدنا أحاديث شريفة في تقييد الضرب والتنفير عنه .

منها حديث شريف روى عن عائشة « ألا يستحي أحدكم أن يضرب امرأته أول النهار ثم يجامعها آخره ؟ » .

وروى البيهقي من حديث أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت : « كان الرجال قد نهوا عن ضرب النساء ثم شكوهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأنهن قد تمردن عليهم حتى قال عمر : يا رسول الله قد ذثر النساء على أزواجهن ، أي تمردن وعين - نخلي بينهما وبين ضربهن : فقال الرسول :

« ولن يضرب خياركم . »

٦ - « وقرن في بيوتكن ولا تخرجن تبرج الجاهلية الأولى ،

هذه الآية خاصة بنساء الرسول ، بدليل قوله تعالى في نفس الآية « يائساء النبي استن كآخذ من النساء . »

ومع ذلك إذا سلمنا - جدلاً لا اقتناعاً - بأن الآية لجميع النساء ، فلا يكون معنى هذا أن تسيجن المرأة في البيت وأن تكون فيه عبدة مسلوقة الحرية ، مسلوقة من كل معنى من معاني الحياة .

وإنما معناه أن البيت خلق للمرأة ولم تخلق المرأة للبيت . بمعنى أنه السكن والمأوى ، وأنه صومعة السعادة والحب . فواجبها أن تضع البيت في المقام الأول . فإن أرادت بعد هذا أن تضيف واجبات أخرى وأن تتمتع بحقوق فوق حقوقها كزوجة ، وأن تلتزم بالتزامات فوق التزاماتها كزوجة وكأم ، فإن الدين لا يمنع بل يشجعها ويباركها .

كل ما يطلبه منها هذه الآية الكريمة إذن أن لاتهمل بيتها وأسرتها ، ثم بعد ذلك لها الحق في الاشتراك في الحياة السياسية والاجتماعية .

وقد قال بهذا ، الزعيم الديني الكبير السيد عبد الرحمن المهدي عندما سأله مجلة آخر ساعة عن رأيه في إعطاء المرأة حقوقها السياسية .

أما المعنى الذي يدور في عقلية الجميع فهو بعيد عن الصواب .

ثم أنه يناقض ما كان يجري عليه الأمر في صدر الاسلام .

فنحن نعلم أن النساء كن يخرجن مع الرجال في الحروب ، وكن يخرجن إلى المساجد والأسواق ويحتلطن بالرجال ويجتمعن معهم لمناقشة الأمور العامة . واجتمعن ذات مرة بالرجال في مسجد رسول الله

وتناقش الجميع في أمور جنسية وكان الرسول عليه السلام شاهداً
المناقشة ومثيرها .

وقصة المرأة التي وقفت تعارض عمر في مجلس أشبه بالبرلمان معروفة
حتى أجبرته على سحب قانون المهور الذي قدمه قائلاً كلمة المشورة
« أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

فكيف خرجت المرأة من منزلها وبشرت كل هذه المهام في المجتمع
الاسلامى واختلطت بالرجال ، إذا كان معنى الآية هو ما يذهب إليه
قضيعة الرجعية .

أما القول بعدم تبرج المرأة تبرج الجاهلية الأولى ففي رأي أنه أنصت
على حالة معينة كانت قريبة العهد من العرب عند انتشار الاسلام . فخص
على عدم الرجوع إليها لأنها منافية لآداب الدين والأخلاق .

على مفترق الطرق وفي السبل الموحشة التي كان يخترقها حوالو المتاجر
والمسافرون ، كان بعض النساء يقدمن أنفسهن للرجال طرداً لإلحاح
الغريزة الجنسية ، ولكن يعتقدن أن في هذا صدقة لوجه الآلهة وتقرباً
إليهم وتعبداً لهم . (١) ولا شك أن هذا تبرج يخالف شريعة الآداب
العليا التي تملها الإنسان أتمن مشاعره وأعلى عواطفه المثالية .

ولقد كانت المرأة تتخذ في الجاهلية من التبرج سنه ، حتى أنها كانت
تسمح لعشرة من الرجال أن يرتكبوا معها الفحشاء فإذا حملت في أحشائها
جاءت العرافة بعد ولادتها والحقت الطفل برجل من هؤلاء .

(١) راجع كتاب المرأة في عصر الديمقراطية — اسماعيل مظهر

هذا هو التبرج الذى حرمه هذا النص ، تبرج الجاهلية الاولى .

ولكن المصيبة التى أصابنا بها أولئك المستعرقين فى النظر إلى الحياة بمنظار الحياة القبلية البدائية ، انهم يعتقدون أن كل تحمل وتأنق تبدو به المرأة هو تبرج وأنه تبرج الجاهلية الاولى .

فاذا ارتدت فستانا جميلا قالوا أنها تتبرج . وإذا ارتدت ثياباً أنيقاً قيل انها تتبرج وإذا مارست الألعاب الرياضية قيل انها تتبرج ... الخ . مع أن تأنق المرأة شيء فرضته عليها الطبيعة .

ولست أدري إذا لم تتأنق المرأة لترضى طبيعتها وأنوثتها بل وانسانيتها أيضاً ، فمن الذى يتأنق ١٩ الرجل ١١٩

قليلاً من التفكير أيها الرجعيون !! لا تفروا من حقائق الطبيعة وتدفنوا أنفسكم تحت الأحجار حتى تتعاموا عن ضوء النهار !!!

* * *

وكما سطوا على النصوص القرآنية سطوا أيضاً على الأحاديث وأخرجوها عن معناها بل اختلقوا أحاديث لم تصدر من الرسول لتخدم أغراضهم . أحاديث مصنوعة كتلك التى كان يسمعها ابن عباس رضى الله عنه من بعض الكهنة المعاصرين له فيثور دماغاً إياهم بالكذب والجهل . ويقول :

« كلما لعق أحدهم من الاسلام لعقه . ذهب يقول ، حدثني رسول الله ... ووالله ما حدثني رسول الله بشيء ولا هو بمن يفقهون حديثاً ،

وماهى الأحاديث التى يواجهونها بها :

(١) حديث « لا يفلح قوم ولوا عليهم امرأة ،

يظنون انهم بمواجهتنا بهذا الحديث سوف نلقى سلاحنا ونسلم لهم
رجاحة العقل وصدق الرأى .

ليسمعوا قصة هذا الحديث ودلالته . إن كان لهم من الأذن ما تسمع
ومن القلوب ما تبصر .

هذا الحديث رواه « أبو بكره » وهو نفسه يقص قصته فيقول :
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفرس أقاموا — بوران —
بذبح كسرى ملكة عليهم . فقال هذا الحديث

أما دلالته فيحدثنا « كتاب فيض القدير فى شرح الجامع الصغير »
فيقول : -

« قال الطيبي . هذا إخبار بنفى الفلاح عن أهل الفرس . وتنبؤ بأن
الفلاح للعرب ،

أى أن الحديث مجرد نبوءة من الرسول بانتصار المسلمين على الفرس
فهو إذن لا يعنى حكما شرعيا . لأن الحكم الشرعى يعنى الإقتضاء
أو التخيير .

وهو كذلك مجرد خبر مثل قوله تعالى « وهم من بعد غلبهم سيفعلون »
كما أنه فى رأى حافز للمسلمين وتشجيع لهم فى نضالهم مع الفرس .

والاستاذ خالد محمد خالد في كتابه الديمقراطية رأى سليم هو :
« أولا : هذا الحديث يمثل وجهة نظر للرسول لا يترتب عليها حكم شرعى . يشبه هذا وجهة نظره في تأبير النخل إذا مر عليه السلام بقوم يؤبرون النخل .

فقال لو تركتموه بغير تأبير لكان خيرا لكم ففعلوا ففسد النخل ولم ينتج ثمرأ ، فذهبوا إلى الرسول يسألون فقال لهم — إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن . ولكن إذا حدثكم عن الله شيئا فخذوه فاني لا أكذب على الله . ثم قال لهم : أنتم أعلم بأمور دنياكم .

« ثانيا : هذه واقعة حال معينة . وقد يكون الرسول يعلم من أمر بوران بنت كسرى ما جعله يستبعد نجاحها في حكم قومها . وهذا لا يمنع من أن تغلح امرأة أخرى . بدليل أن القرآن عرض قصة ملكة أخرى هي بلقيس عرضا يعقب بزايها وعظمة نفسها وعقلها . فهي تقول عن كتاب سليمان عليه السلام . إني ألقى إلى بسكتاب كريم وتقول لقومها ما كنت قاطعة أمرأ حتى تشهدون . وتبدي رجاحة عقلها حين تقول إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ثم يبلغ القرآن بها قمة المجد والتقدير والرضا حين تهتف : إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، (١)

ثم إنى أسألكم :

كيف يتفق نفسيركم مع عظمة مصر فى عهد الملكة - تشاربوت ؟
وكيف نجح المصريون بقيادة شجرة الدر فى هزيمة فرنسا وأسر ملكها ؟
لماذا لم يفلح المصريون وقد ولوا عليهم امرأة ١٩ وكيف فلتحت فرنسا
عندما أسلمت زمام جيوشها إلى جان دارك وطردت جيوش بريطانيا ؟

لماذا لم تفلح فرنسا وقد ولت عليها فتاة ١١٩

وكيف بلغت دول أوروبا وكذلك روسيا وأمريكا قمة المجد والقوة
والحضارة ، والمرأة هناك تشترك فى كل كبيرة وصغيرة من الأمور
السياسية والاجتماعية والعلمية .

لماذا لم تفلح هذه الدول طبقا للحديث المذكور ١٩

أجيبونا يامن تمسحون فى هذا الحديث ١١٩

إن الواقع المستمد من التاريخ القديم والحديث يؤيد وجهة نظر
العقلاء . فى أن الحديث المذكور كان واقعة حال معينة ووجهة نظر
للسؤل لا يترتب عليها حكم شرعى .

وهى قد تخطئ وقد تصيب ، كما أخطأت فى شجرة الدر وجان دارك
وكثيرات من النساء التى حكمن بلادهن وارتفعن بها الذروة كإريترىزا

امبراطورة النمسا ، وكاترين الثانية امبراطورة روسيا . . . الخ وكما أخطأت أيضا في عدم تأبير النخل ورجوع عن رأيه في هذا الصدد قائلا انما طننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن . وكما أصابت في بوران وكليو باطره .

لقد كان الرسول عليه السلام يقول لأصحابه : قولوا فاني فيما لم يوح إلى بمثلكم ،

ثم إن معنى هذا الحديث عند الرجعيين يتعارض تماما مع معنى الآية الكريمة .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . ويقول الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير هذه الآية : —

« أثبت الله بهذه الآية الولاية المطلقة للمرأة مع الرجل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

وإلى هذا المعنى ذهب الأستاذ الامام محمد عبده .

ونحن نسأل : اليس وظيفة القضاء وعضوية البرلمان والوزارة من الوظائف التي يتوصل بها إلى اقرار المعروف والنهي عن المنكر

٢ - حديث « ناقصات عقل ودين »

لأعتقد مطلقاً أن هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة والدليل على ذلك ما يأتي :

(أ) أساس المسؤولية في القانون السماوي وكذلك في القانون الوضعي هو الإدراك والتمييز . ولم يفرق الله بين المرأة والرجل في المسؤولية إذ أن عقابهما على جريمة أو معصية واحد ... فلأن عقلها أقل في الإدراك والتمييز عن عقله فكيف توحدت المسؤولية بينهما في القانون السماوي والقانون الوضعي ١١٤

(ب) التاريخ نفسه يعطينا أدلة على أن عقل المرأة لا يقل عن عقل الرجل . فالصحاباء أخذوا عن عائشة أمي الدين ، ومن عقل أم سلمة بنت أبي بكر أنقذ المسلمين من هلاك محقق في الحديدية وكان عبد الرحمن بن عوف وهو من الصحابة يقول : والله ما تركت ذا رأى من الرجال ولا صاحبة فضل من النساء الا أخذت رأيه ورأيها ... وفي التاريخ أيضاً نجد كل من سيسيليا جونزاجا ، وبولينيا سفورزا ، وايزابلا داستا ، واليزابث جونزاجا أمثلة تحتذى في الثقافة الواسعة والعبقرية الكاملة .

ومدام كوري عالمة العظيمة ، التي اكتشفت الراديوم ، هل يعرف الرجعون عنها قليلاً أو كثيراً ؟

وغير هؤلاء كثيرات لا يتسع المقام لذكرهن .

وفي حياتنا الحديثة نجد أن عقل المرأة لا يقل عن عقل الرجل في شيء .
إذ أثبتت كفائتها وقدرتها في جميع الأعمال التي باشرت بها مع الرجال .

إذا فرضنا جدلاً لا اقتناعاً — أن الحديث المذكور قاله الرسول
فيكون معناه الصحيح ، هو نقصان الخبرة والتجربة والثقافة عند المرأة
فاذا توفرت هذه جميعاً لديها عن طريق التربية والتعليم والعمل . تساوى
عقلها مع عقل الرجل تماماً .

ولعل جمال الدين الأفغانى كان يعنى هذا المعنى عندما قال :

« ليس للرجل رأس وللمرأة نصف رأس ، وليس للرجل عقل
وللمرأة نصف عقل ، وإنما يأبى الفارق من تقييد المرأة في البيت ،
(٣) حديث « النساء خلقن من ضلع أعوج ، »

إنه حديث مكذوب .. أجل مكذوب ، لا يقره عقل سليم ، ولا يستقيم
مع الواقع ، ويكذب به بل يهدمه العلم الحديث . أما أنه لا يستقيم مع الواقع
وينسكه كل عقل سليم فذلك لأن كل ضلوع الإنسان بها عوج والقول
بأن المرأة خلقت من ضلع أعوج يوجب وجود ضلوع مستقيمة وهذا
تناقض لا يصدر عن الرسول .

أما أنه يكذب به العلم الحديث فذلك لأن نظرية خلق الأنواع خلقاً

مستقلا ، قد أفسحت الطريق لنظرية التطور العضوى . فلم يصبح لها من الوجود ما يصح أن يحتاج به لا فى العلم ولا فى غير العلم .

إن هذا الحديث من قبيل مئات الأحاديث المكذوبة المنسوبة إلى الرسول والتى لا يقبل عقل سليم أن يصدق أنها صدرت من الرسول لشدة الفارق بين صغر ما نقل وعظمة المنقول منه .

هل يمكن أن أصدق مثلاً أن الرسول عليه السلام قال : « من أكل فليلق أصابعه أو يلعقها غيره » ، أو أصدق أنه قال : « إذا أسمكتهم فابلعوا » ، أو أصدق هاتيك الثلاثمائة حديث التى إستند إليها العلماء فى تحريم الموسيقى ومنها هذا الحديث :

« يمسح أناس من أمتى فى آخر الزمان قردة وخنازير ، قيل يا رسول الله اليسوا يشهدون الا اله الا الله وأنت رسول الله ؟ قال : بلى ولكنهم اتخذوا المعازف والقيانات فباتوا فى لهوهم ولعبهم وأصبحوا وقد مسخوا قرده وخنازير ، !! »

ولست أعرف ما إذا كان عبد الوهاب أو السنباطى أو فريد الأطرش أو غيرهم من كبار الموسيقيين قد باتوا وأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير أم لا ؟

مثل هذه الأحاديث المكذوبة القول بأن النساء مخلوقات من ضلع أعوج ، ينسب هذا إلى الرسول كذبا وهو الذى قال « النساء شقائق الرجال لمن مثل الذى عليهن بالمعروف »

(٤) «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال . والمتشبهين من الرجال بالنساء» (لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء) «لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل» .

هذه الأحاديث معناها واضح لا يحتاج إلى بيان وهو أنه يجب على الرجل أن لا يتأنت فيقلد المرأة في مشيتها وكلامها وملبسها وصوتها الخ.. وكذلك لا يجب على المرأة أن تسترجل فتتشبه بالرجل في ملبسه وكلامه وصوته وطبيعته كذكر، لأنها بذلك تفقد أنوثتها الحبيبة.. وليس معنى هذا أن النساء إذا مارسن حقوقهن السياسية والاجتماعية وتعلن وتنطقن إلى أبعد الحدود يكن متشبهات بالرجال لا يقبل عقل هذا لأن الوطن لم يخلق للرجال وحدهم، وشئونه لا تهم الرجال وحدهم. وقد اشتركت المرأة العربية في الأمور السياسية والاجتماعية في صدر الاسلام وعارضت عمر وردته عن قانونه وبايعت الرسول كما بايعه الرجل وقرر لها القرآن الحق في هذه البيعة كما قرره للرجال

وكلنا يعرف أن عائشة حاربت على رضى الله عنه . وأن نسيبه بنت كعب بن عمر اشتركت في حروب الردة وبأثرت القتال وجرحت .

ولست أعرف بعد هذا ، إن كان الله قد لعن هؤلاء النساء أم لا ؟

ولست أعرف أيضا إن كان الله يلعن النساء اللاتي يهتمن بأهول وطنهن ويساهمن في بناء مجده سياسيا واجتماعيا وثقافيا أم لا ؟

نترك الجواب على هذا السؤال لمن له عقل يعرف كيف يفكر
وضمير يعرف كيف يحاسب .

هذا هو موقف الاسلام من حقوق المرأة ، يعطيها هذه الحقوق
ولا يضمن عليها في عصر جاء فيه فوجد المرأة متاعا يباع ويشترى .

فاذا جاء الآن رجال الازهر أو اللجنة المسماة بلجنة الفتوى وقالت
إن الدين يمنع المرأة من مباشرة الحقوق السياسية والاجتماعية فهذا رأى
لا ألزم به كسمل .

هو مجرد رأى لا أكثر ولا أقل وعرضة للخطأ وما أحسبه ويحسبه
كل عاقل إلا أنه رأى بعيد عن الصواب بعد الأرض عن السماء .

إن الاسلام نادى أول ما نادى عقل الانسان وحشه دائما أن يفكر
بعقله ويبحث لأن ينساق إلى وراء لجنة الفتوى أو غيرها لمجرد أن
أعضائها جماعة من رجال الدين خصوصا إذا كان هؤلاء من الرجال
الجامدين المتزمين الذين يرهبون التطور ويقفون حيزر عشرة أمام تقدم
البلد ونهضته نحو المدنية والرقى .

وقد انقضى الزمن إلى غير رجعه الذى كان فيه رجل الدين يحسب
أن كلمته ورأيه قانونا سماوى ، إذا عارضه إنسان إستحق رتب الكفر
والزندقة .

نعم لم يصبح لرجال الدين أيا كان مركزهم هذه السلطة التى إستمدوها

من عهود الظلام والجهل وطغيان الحاكمين والتي حولوا بها الاسلام الى كهانة . أو كما قال السيد غلام محمد حاكم الباكستان إلى حكم أو توقيراطي يقوم على الديكتاتورية والاكرام .

هل يعقل مثلاً أن أصدق شيخ الأزهر عندما أفنى في العام الماضي أن إرتداء القبعة حرام . وارتداء البدة حلال !!؟

هل يعقل مثلاً أن أصدق تلك الفتاوى التي كانوا يصنعونها للملك المخلوع ويثبتون بها طغيانه وفساده !!؟

وقس على هذا باقى الفتاوى التي تخرج من جعبتهم على رأى العام ومنها طبعاً الفتوى التي أصدروها بخصوص المرأة .

نتنقل بعد ذلك إلى الذين يحتجون بالتقاليد ! لنقول لهم:

إهدموا تقاليد الغزاه :-

إن هذا الركام الهائل من تقاليد الغزاه الذين تعاقبوا فيها . . تعاقب الظلام والظلام لا تعاقب الظلام والنور؟ هو الذى تتمسك به الرجعية لتضرب حجاباً أسوداً كشيفاً بين مجتمعنا والتطور .

هذه التقاليد التي قدسوها كأنها قرآن أو أنجيل أو توراة ... هذه التقاليد التي أذلوا المجتمع بها وحالوا بينه وبين تمدنه المشروع .

ولست أفهم أى تقاليد نحرص عليها ونحن نبغى للمجتمع أن يتطور ويرتقى ويتمدن !!؟

إنما نتحدى الرجعيين أن يدلونا على تقليد لإجتماعى واحد يصح أن نبقية على أساس أنه لا يتعارض مع المدنية والتطور حيث يتجه العالم الآن .
لن يجدوا .

لماذا ؟

لأن التقاليد الصالحة التى لا تتعارض مع التمدن والارتقاء ، هى التى تنحدر من مجتمعات مستنيرة حرة .

ولم يكن مجتمعنا مستنيراً ولا حراً حتى نطمئن على صلاحية تقليد جاءنا منه .

لقد هلك المجتمع المصرى تحت ظلم الاستعمار الرومانى ، ثم الاستعمار العربى ، ثم استعمار الخليفة الفاطمى ثم استعمار المماليك ثم استعمار الخليفة العثمانى وظل المجتمع تحت وطأة الاستعمار الاخير أكثر من خمسمائة سنة ، حتى جاء الاستعمار البريطانى فاستلبه جثة هامة .

جاء الاستعمار الاخير فوجد المجتمع المصرى قد وصل إلى الحضيض وهو مكبل بأغلال تقاليد همجية بشعة فتركه مكبلاً وسط هذه الأغلال والمصفدات حتى تظل بلادنا بعيدة عن التمدن ، فيظل الاستعمار البريطانى ضارباً أطنابه فيها . وهذا شيء طبيعى لأن الاستعمار لا يمكن أن يحيا فى أمة تشعر بأهمية المدنية وحنمية التطور .

أليس عجيباً أن الانجليز كانوا يفرضون على طالبات مدرسة السنية

الابتدائية أن يكن مبرعات . وعلى مدرس اللغة العربية أن يكون معمماً ؟ ولماذا ١١٩

لأن الانجليز كانوا يغيرون على التقاليد المصرية ١١١ لأن الانجليز كانوا يريدون أن تظل هذه التقاليد ستاراً يحجب أنظار المصريين عن التطلع نحو التقدم والارتقاء ١١

لأن الانجليز كانوا يبنون حفظ الشرف والأخلاق والفضيلة في المجتمع المصري ١١١

أليس لذلك أيها الرجعيون أم لماذا ١٩

ألا تعلمون أن التقاليد التي تلوذون بها ذات جنسية إستعمارية وأنها أغلبها فاطمية وتركية ١٩

اسمعوا :

في القرن السادس عشر أصدر الفاتح التركي السلطان سليمان ابن السلطان سليم فرماناً أعلن فيه تقواه وورعه وكان يتلخص في أن كل امرأة تسكشف وجهها في الطريق العام تعاقب بأن يقص شعر رأسها ، وتمتطي حماراً ، بالمقلوب ، ويطاف بها في شوارع المدينة بين تصفيق الصبية وصياح المتفرجين .. ١١

ألم أقل لكم أن تقاليدنا وأولها تقليد الانفصال ، جاءنا بها الغزاة

لعلكم في موجة من الورع والتقوى ظننتم أنه تقليد إسلامي أو مصري صميم . كلا .. ليس هو بتقليد إسلامي بدليل أن المرأة العربية كانت تختلط بالرجال وتخرج إلى الحروب معهم .

وليس هو بتقليد مصري صميم ، بل إن الاختلاط هو التقليد المصري الصميم .. أجل هو التقليد الذي نبع من أرض مصر .. لقد كانت المرأة الفرعونية تشارك الرجل في الأعمال السياسية وفي وظائف الحكومة ، وكانت تظهر معه في المجتمعات والحفلات . وكان لها مركزاً سامياً عند أجدادنا حتى بلغت عرش المملكة .

حدث هذا منذ آلاف السنين عندما كان المجتمع المصري يتمتع بنصيب وافر من التمدن والارتقاء والعظمة بينما كان الغرب مجاهل كمجاهل عقول أسيادنا الرجعيين !!

هذا الاختلاط ظل سارياً في الريف حيث تشترك المرأة الريفية مع الرجل في الأعمال وتظهر سافرة في شوارع القرية ومحالها . بينما ضرب تقليد الانفصال التركي نطاقه على عائلات القرية الكبيرة والمتوسطة .

فإذا رجعنا إلى الاختلاط — وقد رجعنا إلى حد كبير — فأنما نرجع إلى صميم عاداتنا وتقاليدنا التي أصبحت الآن من مقتضيات المدنية الحديثة والتطور العالمي .

وهذا القطيع الذى يتشدق بالتقاليد يحتاج بصيانة الاخلاق والفضيلة.
وهذا ما سنتحدث عنه فى فصل الاختلاط لنبين أن هذه التقاليد لا تحفظ
أخلاقاً ولا تقيم شرفاً.

وإنما الذى أحب أن أذكره هنا أننا كدنا — بما حصلنا عليه من
تمدن — أن نهدم تقليد الانفصال التركى، وأصبحت المرأة المصرية الآن
بعد أن تحررت — تختلط بالرجل فى الجامعات والنوادر ودور الحكومة
والصحافة ... الخ. فمن العبث بعد ذلك أن يحتج بعضنا بالتقاليد لحرمان
المرأة من حقوقها السياسية : وإذا كان الرجعيون يأملون فى العودة من
جديد حيث كنا فى تأخر وهمجية . فهم فى ذلك واهمون ، والتطور
لا يمكن أن يرجع شبراً إلى الوراء بل يتقدم ويتقدم دائماً مكتسحاً
أمامه معادل الرجعية والجمود . ولو آمن الرجعيون بهذه الحقيقة لأراحوا
واستراحوا . ونرجوا أن يؤمنوا .

إنه من العار ... وإنه من المضحك والمبكى معا أن ينطق نساء العالم
التمدن فى مشاركة الرجال فى الحياة العامة ونريد نحن لمصر أن تتخلف
بأن نحبس نصفها فى البيوت بل فى أظلم بقعة من البيوت بحجة التقاليد ..
وما هذا إلا دليل انحطاطنا وتأخرنا عن موكب الحضارة والتطور .

فألا يكفى هذا ؟ ألا يكفى أننا إستعملنا المرأة — بمقتضى التقاليد
التركية — فى الشهوة وخصصناها لمزاجنا ، متجاهلين إنسانيتها بغير ضمير

ولا تعقل ، وكان هذا من الأسباب التي جعلت المتمردون يشتمون منا
ويضهوننا تحت الصفر ١١٩

ياقوم فكروا قليلا ... بل فكروا كثيراً فليس بما يشرف مصر أن
تتمسكوا بتقاليد ثبت أنها من الغزاه الفاتحين .

ياقوم افهموا جيداً : أن مهمة المرأة المصرية في عالم التطور والتقدم لم
تعد هي الطبخ ولا السكنس ولا التجميل آخر الليل ليقضى معها الزوج
ما يريد . وإنما مهمتها الآن أن تتثقف وترقى عقلها وتكتسب بالاختلاط
شخصية كشخصية المرأة في أوربا وأمريكا وروسيا والهند ، وتعد نفسها
لأن تكون نائبة في البرلمان ووزيرة في حكوماتنا المتقدمة القادمة .

لماذا يجب اعطاء المرأة الحقوق السياسية ؟

أولاً : لأنها إنسان لها مثل ما للإنسان من حقوق ، وعليها ما عليه
من واجبات .

ولا يقتضى العدل أن نفرق بين إنسان وإنسان في الحقوق والواجبات
مادم يتساويان في الأهلية التي تمسكهما من مباشرة هذه الحقوق والقيام
بهذه الواجبات .

ثانياً : أنها مواطن يتكون منها نصف الأمة بل أكثر من نصف
الأمة ولا يحق أن نحرم فرداً واحداً من حقوقه السياسية اللهم إلا إذا
كان مجرماً .

وفي مصر يحرم على من ارتكب جريمة مخلة بالشرف من مباشرة حقوقه السياسية . فإذا حرمت المرأة من هذه الحقوق فكأننا ننزلها منزلة المجرمين . أى أننا حتى لانساويها بالرجل الجاهل الأعمى بل ننزلها إلى مرتبة أدنى هي مرتبة اللصوص والقتلة بجرماتها من الحقوق السياسية .

فأى أمة في العالم تشعر بكرامتها وتمدنها تقبل هذا الوضع ؟

ثالثاً : لأجل عبث الرجل بمصالح المرأة واهداره حقوقها ، نريد أن تدخل البرلمان لتدافع عن نفسها وترفع الاصر عنها وتحطم حواجز التقاليد التي تفصل بين جنسى الأمة .

إن الرجل عبث بالمرأة حتى في القانون .

وخذ مثلاً قانون العقوبات المصرى الذى وضعه الرجل بمفرده .

هذا القانون يبيح خيانة الرجل بشرط واحد فقط هو أن يزنى بعيداً ... بعيداً من منزل الزوجية ... يذهب ويزنى كيفما شاء وفي أى موضع يراه مادام هذا الزنا لا يرتكب في منزل الزوجية .

ولماذا يزنى في منزل الزوجية ؟ ... أليس أرض الله واسعة !!؟

ولكن هذا القانون يضيق الخناق على الزوجة سواء زنت في منزل الزوجية أو خارجه .

المادة (٢٧٤) تقول

— المرأة المتزوجة التي ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لاتزيد

عن سنتين .

والمادة (٢٧٧) من هذا القانون تقول .

— كل زوج زنى فى منزل الزوجية يجازى بالسجن مدة لا تزيد عن ستة أشهر !

الله أكبر .. لم هذه التفرقة الصارخة ؟ .. لم هذا التحيز الظاهر للرجل ؟ !

الزوج الفاسد ليس له عقوبة إذا زنى خارج منزل الزوجية !
والزوجة الفاسدة لها عقوبة قدرها سنتين إذا زنت فى منزل الزوجية
أو خارجه !

والفاسد الساقط من الرجال الذى يبلغ به حد الاستهتار والفجور
إلى أن يزنى فى منزل زوجته له عقاب لا يزيد عن ستة أشهر !!

ماذا يفترق الزوج الفاسد عن الزوجة الفاسدة ؟ ما الفرق بين زنا
الزوج وزنا الزوجة حتى يفرق القانون بينهما هذه التفرقة الصارخة ! !
أنى أقسم بأنه لو كانت هناك إمراة تشترك فى وضعه لصاحت صارخة
بأعلى صوتها .

لم هذا التحيز ؟ .. لم هذا التعصب ؟ إنى أقبل أن تكون عقوبة
الزوجة الزانية السجن المؤبد على شرط أن يتساوى الزوج الزانى فى
العقوبة أيضاً سواء زنى فى منزل الزوجة أو خارجه .

ومن الغريب أن القانون أباح للزوجة الزانية أن تدفع بسابقة زنا

الزوح — إن كان قد زنى — فتوقف الدعوى المرفوعة عليها . وما تبرير القانون في هذا الدفع ؟ أن الزوح هو القدوة للعائلة ومثلها الأعلى (١) أرايتم التناقض الظاهر ؟

القانون يعتبره القدوة للعائلة ومع ذلك يسمح له بالزنا على شرط أن يكون خارج منزل الزوجية وبشرط أن لا يزنى في زوجة أحد وإلا اعتبر شريكاً ! وفي نفس الوقت يمسك بتلابيب الزوجة ويزجها في السجن سنتين كاملتين لأنها ارتكبت نفس الجريمة التي ارتكبتها من اعتبره القانون قدوة لها !!

من الذى شرع هذا القانون ؟ أليس الرجل وحده فتعصب لنفسه وتحيز لها ؟

فلتوحد الدولة العقوبة بين الاثنين وإلا فهي تضرب بالعدل عرض الحائط .

وهناك مظهر آخر لا هدار حقوق المرأة والتعصب ضدها عن طريق القضاء الشرعى :

خذنا هذا المثال :

حكم أحد القضاة الشرعيين بضم سيدة مثقفة ، ناظرة مدرسة وهي

(١) راجع قانون الاجراءات الجنائية — الاستاذ الدكتور محمود مصطفى أستاذ القانون الجنائي بكلية الحقوق بجامعة الاسكندرية .

تبلغ من العمر ٣٥ سنة إلى أخيها البالغ من العمر ١٦ سنة لأن الله يقول : الرجال قوامون على النساء :

وكم تمنيت من الله أن يعطيني عقل هذا القاضى لحظة لأقتنع بأن صبي ما زال يتبول على عقبه يستطيع أن يكون قima على ناظرة مدرسة تربي جيلا من المواطنين وتبلغ من العمر ٣٥ سنة ١١

ألسنا إذن على حق عندما نطالب بحقوق المرأة والسماح لها بدخول البرلمان لتدافع عن نفسها وترد الظلم عنها ؟

رابعا : نحن حريصون على ذلك لتصل مصر إلى ما وصلت إليه أوروبا وأمريكا من رقى وتقدم :

نحن حريصون على ذلك لكي نكون مثل كل أمة عرفت أنه لا سبيل إلى تمدنها وارتقاها إلا إذا حررت نصفها الآخر وأفسحت له مكانا ليشارك في بناء الدولة .

نحن حريصون على ذلك لتقطع الألسنة التي تصور نساءنا ، في أوروبا وأمريكا بصورة المواشي والعبيد ، ولتحتفظ سمعتنا ونجعل العالم ينظر إلينا باحترام وتقدير .

نحن نريد أن نسير مع التطور ، هذا التطور الذي زحف إلى كل بلاد العالم وسوى بين نساءها ورجالها في كل شيء . ولم يبق إلا خمسة

دول لا تقع العين عليها في زحام الدول المتقدمة . ونحن - كوطنيين -
لا نريد أن تكون مصر من هذه الدول النعسة النائمة .

خامساً : إننا نريد بإعطاء المرأة المصرية حقوقها السياسية أن يكون
لنا برلمان صحيح يمثل الأمة تمثيلاً صحيحاً ، لابرلمان مزيف يمثل نصف
الأمة . بل أقل من نصف الأمة .

إن الاحصاءات الرسمية تدل على أن عدد النساء أكثر من عدد
الرجال . ومع ذلك فجميع البرلمانات الماضية لم تكن تمثل إلا أقل من
من نصف الأمة . أى كانت الأقلية هى التى تتحكم فى الأغلبية من النساء
فلا تعترف لها بحق ولا تسمح لها أن تطالب بحرية .

وشيء من إثنين .

إما أن تُلغى الدولة الحياة النيابية نهائياً . وإما أن يكون لها برلمان
صحيح يمثل الأمة تمثيلاً صحيحاً .

وهنا قد يقال لنا - كما قيل فى لجنة الدستور - أن المرأة إذا أعطيت
حق الانتخاب مثلاً فسيكون صوتها صورة طبق الأصل من صوت زوجها .
وهذا القول مصادرة على المطلوب وافترض النتيجة قبل تحقق السبب .

ولنفرض - جد لا - أنها ستنتخب من يختاره زوجها . فهل يمنع هذا من أن تعطى حقها المشروع كموطن يتسكون منها نصف البلد بل أكثر . وكانسان أيضا ؟ !

هل يصح أن نمنع عنها حقها مشروعاً بدعوى أن رأيها مثل رأي زوجها ؟
ولقد لاحظنا في الانتخابات الماضية أن الأبناء ينتخبون من يختاره الأب . وخصوصاً في الريف . ولذلك كان يكفي المرشح أن يضمن تأييد رب الأسرة له ، ليجد بعد هذا جميع الأبناء في صفه . وستكون هذه الظاهرة أيضاً في الانتخابات القادمة . فهل يحق للدولة - إذن - أن تسلب الأبناء حقهم الانتخابي بحجة أن صوته صورة طبق الأصل من صوت أبيهم ؟

هل يصح أن نتخذ الدولة هذا سبباً لحرمان الابن من حق الانتخاب
كانسان وكمواطن ؟ !!

وإذا كان هذا لا يصح بالنسبة للابن فلماذا نتخذ من هذا السبب ذاته
حجة لحرمان المرأة من حق الانتخاب ؟

وهل منعت الدول التي أعطت للمرأة حق الانتخاب هذا الحق عنها
بحجة أن صوتها سيكون صورة من صوت زوجها أو أبيها أو أخيها ؟
أم اعتبرتها مواطناً وإنساناً فوق كل شيء . وأعطاها هذا الحق ؟

بأية عقلية يفكر هؤلاء ؟

ومن المدهش أنهم لا يكتفون بهذه الحجة المردودة بل يسوقون حجة أخرى مفضوحة هي أن نساء مصر جاهلات لا يصلحن لمباشرة أى حق سياسى
يا عجباً !

الا ليتهم علموا بما قاله الانجيل على لسان السيد المسيح :

« لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينيك فلا تفتن لها . أو كيف تقدر أن تقول لأخيك يا أخى دعنى أخرج القذى الذى فى عينيك . وأنت لا تنظر الخشبة التى فى عينيك .

يامرائى ، أخرج أولاً الخشبة من عينيك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذى فى عين أخيك . »

وهذا بالضبط ما نريد أن نقوله للرجعيين الذين يحتجون بجهل نساء مصر . نريد أن نقول لهم أخرجوا الخشبة التى فى أعينكم لتروا جيداً أن الجهل الذى ترمون به النساء متوفر أيضاً فيكم .

وإن المنطق الذى تواجهنا به المرأة — فى هذا الصدد منطقاً سليماً عندما تصيح فى وجوهنا قائلة . ولماذا لا تحتجون أيضاً بجهل الرجال فى مصر .

ويصل هذا المنطق السليم إلى ذروته عندما تقول : كيف تعطون الرجل الجاهل حقوقه السياسية وتأتون بالواح من الخشب لا يعرف كل

لوح منها من الحروف الأبجدية إلا الف باء كهذا اللوح الذى أنتخب
عضوا فى البرلمان فطعن ضده بأنه لا يعرف القراءة والكتابة فجاء
بلمبة تمخنه وأعطته كتابا من كتب رياض الأطفال ليقرأه فلما أبصر
صورة ثعبان صاح قائلا : حنش ، وهكذا أدى الامتحان على خير وجه
وأعطته اللجنة شهادة النجاح !!

كيف تسمحون لهذه القطعة الخشبية وأمثالها بعضوية البرلمان وتمنعون
السيدات المتعلقات وخصوصا من يحملن أرقى الدرجات العلمية من
جامعات مصر وأوربا وأمريكا ؟!

حقا أنها مأساة ليس لها نظير فى أمة تحترم نفسها

إنها مهزلة أيضا فى أمة تريد أن تعيش فى صلب الحياة لا على هامش
الحياة . ولكنها ليست بمهزلة ولا بمأساة فى أمة مازالت تجهل فى أى
عصر تعيش .

سادسا . مصر وقعت على ميثاق حقوق الانسان بهيئة الأمم المتحدة
الذى اعترف بالمساواة التامة بين المرأة والرجل . وما دام الأمر كذلك
فيجب أن نسارع بتنفيذ التزام التزمت به دوليا . نسكى تحفظ سمعتها
وكرامتها إذ لا يشرف مصر دوليا أن تلتزم بميثاق دولي ثم لا تنفذ
ما أوصى به !!

لقد شعر الأستاذ الدكتور محمود عزمى مندوب مصر فى اللجنة

الاجتماعية والثقافية لهيئة الأمم المتحدة - بالخرج الشديد عندما اجتمعت اللجنة المذكورة لتناقش حقوق المرأة السياسية المدرجة في جدول الأعمال واستعرضت أسماء الدول الأعضاء المتخلفة عن تقرير حقوق نساءهم وتصديقها على ميثاق حقوق الانسان ومن هذه الدول التي تليت اسمها مصر وبالرغم من أن الدكتور محمود عزمي وقف يدفع إتهام مصر بعدم تنفيذها للميثاق ، ذاكرا المبادئ التي فتحت أبوابها في مصر لاشتراك المرأة فيها ، إلا أنه لم يتمكن بالطبع من تفسير حرمان المرأة المصرية حتى اليوم من مزاوله حقوقها السياسية . وانتهت اللجنة إلى قرار بتوصية الدول الأعضاء التي لم تمنح المرأة هذه الحقوق بالاسراع في إقرارها .

وقد كنت أعتقد أن هذا القرار الدولي خاتمة انصراف الدائر حول حقوق المرأة السياسية عندنا ولكنني دهشت عندما قررت لجنة الأوضاع الانتخابية التابعة للجنة الدستور منح المرأة حق الانتخاب على شرط معرفتها القراءة والكتابة ، ١ ولست أدري : ما الفرق بين الرجل الأمي والمرأة الأمية ؟ وقبل ذلك اجتمعت لجنة الخريات التابعة للجنة الدستور أيضا وقررت منح المرأة حقوقها السياسية ومساواتها بالرجل ولكنها وضعت قيدها هو أنها تركت حرية تنظيم هذه الحقوق للمشرع ١١١ وكان الاوفق أن تمنح لجنة الدستور الحقوق السياسية للمرأة دون قيد ولا شرط ؛ كما فعل الدستور السوري الجديد وتنفيذ ميثاق حقوق الإنسان

وللقرار الدولي الذي أصدرته اللجنة الاجتماعية والثقافية التابعة لهيئة الأمم المتحدة .

ولكن مادامت لجنة الدستور قد ارتضت هذا الوضع الذي يخافى الحق والعدل ، والذي يخل بالتزام مصر دوليا ، فإن المرأة ستواصل الكفاح ومعها أنصارها من الرجال التقدميين الأحرار وستصل إلى النصر لا محالة .

حق المرأة في وظائف الدولة :

ننتقل الآن إلى الكلام عن حق المرأة في وظائف الدولة .

١ — القضاء

أفتى المرحوم الامتاز الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر ، بجواز تولية المرأة مناصب القضاء .

وفي ص ٣٨٠ من الجزء الحادى عشر من المعنى : —

« قال ابن جرير : لا يشترط الذكورة في القضاء ، لأن المرأة يجوز لها أن تكون قاضية ، .

وابن جرير هذا صاحب التفسير الذي لم يأت مثله حتى الآن .

وحمد شيخ أبي حنيفة وأستاذه . وعطاء الذي قال عنه ابن عباس

لاتسألوني مادام فيكم عطاء . يجيزان شهادة المرأة في الحدود ومن ثم
يجيزان توليتها القضاء حتى في الحدود .

وكذلك أجاز أبو حنيفة تولية المرأة مناصب القضاء .

ولم يجيز هؤلاء الفقهاء تولية المرأة مناصب القضاء فحسب بل
أجازوا أيضا أن تكون مفتية أى مشرعة .

والمرأة الآن في الدول المتقدمة التي ساوتها بالرجل تعلى منصبة
القضاء وتقوم بهذه الوظيفة بكفاءة لا تقل عن كفاءة الرجل .

أما في مصر فالوضع متناقض إذ سمحت لها الدولة بأن تدافع عن
حقوق الأفراد وفي نفس الوقت منعتها من أن تحكم بين الأفراد لترد
لكل ذي حق حقه !!

وكالة النائب العام : —

في ص ٢٠٢ من الجزء الخامس لكتاب المغني لابن قدامة .

« كل من صح تصرفه في شيء بنفسه وكان هذا الشيء مما تدخله النيابة
صح أن يوكل فيه غيره وأن يكون وكيلاً فيه عن غيره رجلاً كان أو امرأة .
ومعنى هذا أنه إذا كان يجوز للمرأة أن تمتلك وأن تتصرف فيما
تمتلكه بالبيع والرهن والإجارة . . . الخ فإنه يجوز لها بالتالي أن تكون
وكيلاً عن غيرها في هذه التصرفات كما يجوز لها أن توكل غيرها .

وكذلك إذا جاز للمرأة أن تخصص غيرها أمام القضاء وترفع الدعوى باسمها فإنه يجوز لها أن تكون وكيلًا عن غيرها في رفع الدعوى وهذا الغير قد يكون المجتمع . ورفع الدعوى بالنيابة عن المجتمع هو عمل وكيل النائب العام .

وهنا قد يقول البعض بأن هذه الوظيفة شاقة وفيها إجهاد مضاف للمرأة وقد يقال أيضا أن فيها حرج عليها من حيث تضطرها إلى التعرض لمسائل خلقية لتحقيقها .

أما أن هذه الوظيفة شاقة على المرأة فهذا غير صحيح فهي لن تكون أشق من الاشتغال في الحقل الذي تقوم به المرأة الريفية منذ الصباح حتى غروب الشمس . ومع ذلك فللرأة الريفية القدرة على تحمل هذه المشاق .

أما أن هذه الوظيفة فيها حرج على المرأة من حيث تضطرها إلى التعرض لمسائل خلقية لتحقيقها ، فنحن نقول أنه مادام هذا واجب فلا حياء فيه . كما أنه لا حياء في الدين

لقد ذهبت امرأة إلى الرسول عليه السلام تسأله .

كيف أغتسل من الحيض ؟

راجع كتاب الديمقراطية — في حق المرأة في وظيفة وكالة النائب العام — لحالد محمد خالد

فأجابها الرسول خذي ماءك وسدرك ، وصبي على رأسك ، ودلكيه
حتى تبلغى مغابته ثم صبي عليه الماء ثم خذي فرصة ممسكة فتطهري بها
فقسأله المرأة — وكيف أتطهر بها !

فيخرج الرسول ولا تخرج المرأة ؛ ثم يقول وهو يضحك .
— سبحان الله تطهري بها .

ثم تتدخل عائشة في الموضوع وتسرف في أذن المرأة قائلة :
تتبعي بها أثر الدم (١)

ودعونا نسألكم ، لماذا تتعاطم سؤال المرأة للرجل في قضية خلقية
ولا تتعاطم سؤال الرجل للمرأة في مثل هذه المناسبة .

حق المرأة في الالتحاق بالجيش

ذكرنا سابقاً أن نسيب بن كعب بن عمرو إشتكت في حروب الردة
في خلافة أبي بكر رضى الله عنه وباشرت القتال بنفسها حتى قتل مسيلمة
الكذاب وعادت من المعارك وبها عشر جراحات ؛
وكذلك إشتكت المرأة العربية في موقعة اليرموك وباشرت القتال
أيضاً مع الرجال .

وقد روى البخارى وأحمد عن الربيع بنت معوذ قالت :

(١) المرجع السابق وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا كتاب حقوق النساء في الاسلام

« كننا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : نسقي القوم ونخدمهم ونزد القتلى والجرحى إلى المدينة » .

وروى مسلم وأحمد بن ماجة عن أم عطية الأنصارية قالت :

« غزوت مع رسول الله سبع غزوات »

وقد ورد في خبر الرميضاء زوج أبي طلحة في صحيح مسلم أنها أتخذت خنجرًا يوم حنين فلها سألها زوجها عنها قالت : —

« إلتخذته ؛ إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه » . فلما سمع زوجها منها هذا ذكره للرسول عليه السلام فقال لها الرسول :

« يا أم سليم إن الله عز وجل قـ كنفي وأحسن » ، ولم ينسكرك الرسول عليها شيئاً مما فعلت ،

وفي عصرنا الحديث تتجه كل الدول المتقدمة إلى إدخال المرأة في الجيش . ومنها أمم إسلامية كالبالكستان وأندونيسيا .

وفي هذا يشهد رجل عسكري عظيم هو « الفاتمقام محرم عثمان » مدير مدرسة المشاة إذ يقول في جريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٣ ما يأتي تحت عنوان « المصرية في الجيش »

« لم يبق في العالم أمة من الأمم التي شاركت في الحرب العالمية الأخيرة مشاركة إيجابية لم تستخدم المرأة في جيشها .

أما الدول التي لم تعترف حتى اليوم بحاجتها إلى استخدام المرأة في

الجيش فهي تلك الدول التي لم تمارس الحرب فعلاً . ولم تفقد من رجالها عشرات الآلاف . ومصر واحدة من هذه الدول . . . تسد حاجة جيشها من الرجال في زمن السلم ، ولكنها لا تحاول التطالع إلى الصعوبة المنتظرة في زمن الحرب . حينما يقضي من الرجال آلاف تلو الآلاف ، ولا يمكن تعويضهم إلا باستخدام النساء . . . ويحاول فريق من الناس أن يجعل من أنوثة المرأة سبباً يمنعها من المساهمة في دفع ضريبة الدم ، ونحن نرى أن أنوثة المرأة إن تسكن لا تتفق مع أهوال الحرب وقسوتها ، فإنها لا تتعارض مع قيامها بكثير من أعمال الجيوش التي تتفق مع طبيعتها . فهي تستطيع بكثير من الحذق وبقليل من المخاطرة أن تقوم بإمداد المحاربين بالطعام والشراب والمعدات والملبوسات ، كما نستطيع أن تؤدي الأعمال السكرتارية في القواعد الخلفية وخطوط المواصلات ومكاتب الإشارات والأرصاء الجوية بالإضافة إلى أعمال التمريض وبذلك نستطيع أن ندفع إلى ميدان القتال في الخطوط الامامية بالرجال جميعاً ، فلا يتخلف منهم أحد للقيام بأعمال . النساء أقدر منهم على أدائها .

ويحاول فريق من الناس أن يوهننا بأن مسئولية المرأة كزوجة وأم تمنعها من الإشتراك في الحروب . ونسوا أنه ليس كل امرأة في مصر زوجة أو أما . فعلى كل امرأة أو فتاة لا تعول أسرة أن تأخذ نصيبها في الدفاع عن الوطن . أما هذه التي تعول أسرة فلتبقى إلى جانب أسرتها لترعاها وتحميها مما لا بد أن تتعرض له من أخطار في أرض الوطن

بسبب الغارات الجوية التي لا مناص من الاصطدام بنارها .

وهي في هذه الحالة أيضاً في حاجة إلى أن تتدرب عسكرياً حتى يمكنها أن تساهم في إعداد المخاض والوقاية من الغارات فإن الحرب اليوم لم تعد في ميدان بعينه ، إنها تكون في الماء كما تكون في الهواء ، وفي الأرض المأهولة كما تكون في الصحراء ، إنها لا ترحم كوخاً ولا قصرأ ، ولا نفرق بين الرجال والنساء والأطفال .

ويخشى من تجنيد المرأة هؤلاء المتباكون على التقاليد الاجتماعية والأخلاقية الذين يدعون أن إرتباط المرأة بالجيش معناه إنقطاع الصلة بينها وبين طهارة الذيل وعفة النفس ، ونسوا أن المرأة المصرية تعمل الآن إلى جانب الرجل في الحقل وفي المصنع وفي المدرسة وفي المحكمة وفي المتجر ، ولم تمنعها من ذلك حفظاً للتقاليد والأخلاق .

إن علينا أن ننظر في أمر تجنيد المرأة بعين الواقع لا الخيال ، وأن نجابه المستقبل الذي ينتظرنا على أساس من تجارب غيرنا من الأمم . وسوف نرى حينئذ ألا مفر من تجنيدها سواء أسرها ذلك أم أغضبها .

حق المرأة في تولية الوزارة :

أعتقد أن في مصر سيدات يحملن أرقى المؤهلات العلمية يصلحن لمناصب الوزارة بدلا من هؤلاء الأخشاب الذين دفعتهم الحزبية إلى كرامى الحكم .

وليس هناك حائل من الدين يمنع المرأة من تولية المرأة الوزارة .
وإن كان حديث :

« لا يفاح قوم ولو عليهم امرأة » . فقد تعرضنا له وبيننا قصته
ودلالته وخرجنا من ذلك بأنه لا ينهض حكماً شرعياً .

وأندونيسيا الدولة الإسلامية التي تغار على دينها أكثر من الذين
يتباكون على الدين عندنا ، لم تخرجنا أو مانعا من الدين في أن تسند
مَنْصِبَ وزارة الشؤون الاجتماعية إلى امرأة .

وفي القرآن (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر) .

وإذا كان الأمر كذلك ، فأليست وظيفة الوزارة مما يستطيع من
يتولاها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وإذا سألنا الرجعيون : لماذا إذن لم يعهد الرسول ببعض المناصب
الوزارية للمرأة .

نجيبهم سائلين . ولماذا لم يدخل الرسول السيارة والراديو والتلفزيون
في جزيرة العرب أو يتخذ له مفوضية في لندن أو القاهرة .

الجولة الأخيرة :-

إن المعركة التي دارت - وما زالت تدور - بين التقدمية والرجعية
بدأ باطلاق قذيفتها الأولى المرحوم قاسم أمين .

ظهر في عهد. كانت المرأة فيه محجبة. أسيرة، فرض عليها الجهل
والخرافات والأساطير فرضاً.

فالرجال كانوا يأنفون أن تخرج البنت إلى المدرسة، وإن رغبوا
في تعليمها عهدوا إلى شيخ من الشيوخ الذين يتلون القرآن في البيوت
ليعلمها. وكان هؤلاء الشيوخ يختارون في سن السكولة أو الشيخوخة
ولا يعرفون من شئون الدنيا شيء. إلا فك الخط وصم القرآن.

أما معلوماتهم العامة فلا تتعدى لفيماً من الخرافات والأساطير،
فكانت البنت وهي في عنفوان أنوثتها واستعدادها لتقبل الحياة باسمه، تنشأ
غارقة في الخرافات والحزبيلات. وإن ذلك لمن أعظم ما ينتهي بالحياة
إلى العقد النفسية التي يصعب على الإنسان مهما قويت إرادته أن يتخلص
من آثارها. فما بالك إذا نشأت في نفسية بنت ضعيفة لا تعرف من
الحياة إلا أبواب القصر المغلقة والخضيان والجواري السود من
متوحشات أهل الجنوب الأقصى والحبشة والكونغو.. والشيخ المخرف
الذي كان الناس يعتقدون أنه وسيلتهم إلى الله تعالى !!

هذا هو الوضع الذي ثار عليه قاسم أمين مطالباً بزواله وهدمه،
وتحرير المرأة وتعليمها ونزع القبر الأسود عنها، وضمن آراءه التقديمية في
كتاب سماه (تحرير المرأة) .. ولكن ما أن صدر الكتاب، حتى نادى

الرجعية بعضها بعضا .. وخرجت كلابها النابحة من الأوكار تسعى . لتعض
هذا الكتاب ولتنبح في وجه صاحبه بالكفر والإلحاد والإباحية . ولم
تتورع بعض الكلاب التي ارتفعت أخلاقها ارتفاعا عظيما حتى وصلت
إلى الأرض السابعة من أن تذهب إلى منزله لتمتتع برؤية السيدة حرمه .
كانت هذه هي الجولة الأولى بين التقدمية والرجعية أو قل بين
التقدمية والهمجية ...

ترى لمن كتب النصر ؟ .. كتب للتقدمية عندما تقدمت سيدة حرة
كريمة هي هدى شعراوي ولما تنزعت النقاب وألقته بعيداً وسرعان
ما إستجاب لها كرام السيدات والفتيات ، فكان ذلك هدماً لا قوى
معاقل الرجعية والإجرام في مصر .

ولكن الرجعية تأبى أن تسلم بالهزيمة وتكافح إلى آخر لحظة لتظل
تنفث سمومها وتخز عبلائها في أوساط السذج من الجماهير ... فم عندما
تقدمت الفتاة المصرية تطالب بحقها في الإلتحاق بالجامعة لتتلقى العلم كما
يتلقاه الرجال ، بدأت الرجعية ترفع رأسها من جديد مستجيبة بالدين
تارة . وبالأخلاق تارة أخرى .. ومرة أخرى تصاب بالخيبة والهزيمة ،
وتنطلق كل صباح تلك الروس المرتفعة ، تشق شوارع القاهرة
والاسكندرية وباقي المدن المصرية بل والريف المصرى أيضا . روس

فتيات مصر وكأنها أنوار ساطعة تلتقي وهي في طريقها إلى دور العلم والجامعات بذكرى أولئك العظام الخالدين . قاسم أمين . محمد عبده . سعد زغلول . هدى شعراوي . أولئك الذين هدموا الرجعية وأقاموا فوق كسبانها بعثا المرأة المصرية بعد طول رقاد .

وكذلك عندما ظهرت أول دفعة من المحاميات والطبيبات والمعلمات والصحفيات ، تدق أجراس الدنيا ويصل صداها في الآفاق ، تنبه شعوب العالم المتمدن أن أنظروا لقد تحررت نساء مصر وهدمن معازل الرجعية والجمود ، ولم يعدن خدم أو متع للرجال .

ووقفت المرأة المصرية معكم على قدم المساواة . عندما حدث هذا خرجت الرجعية تجر وراءها كهنتها ، باكية نادبة على التقاليد ومذرفة دموع التماسيح على الفضيلة والأخلاق .

ولكن أكان التطور من الحق بأن يتقهقر خوفا من هؤلاء ؟ كلا . بل مضى يدفع المرأة المصرية إلى المزيد من الرقي ويدفع الأمة أيضا إلى المدنية والحضارة والارتقاء .

ومن المؤسف والمبكي معا أن يشترك بعض الوزراء والكبراء — الذين كانوا من حكام هذه البلاد التعمسة — في الطابور الرجعى يناصرونه ويشدون أزره . فما زلت أذكر أن وزيراً يدعى أحمد مرسى بدر انتهن

فرصة وجوده على رأس وزارة المعارف ، فأصدر قراراً يرجعياً بجرمان الفتاة المصرية من السفر إلى الخارج في بعثات علمية ، معتدياً بذلك على حرية الانسان في أن يتعلم إلى أبعد حدود التعليم .

ولست أدري لماذا لا تخرج من بين فتياتنا أمثال مدام كورى ، و مدام دى شتاميل ، وفيجايا لاكشمى وغيرهن ؟

وهل إذا شامت فتاتنا أن تكون مثل هؤلاء السيدات ، ثم ذهبت تلتمس وسائل ذلك عند قمم الثقافة والعلم في الخارج ، تمنعها نحن من هذا الحق ونهزأ بطموحها المتسلق الجرىء ؟

هكذا أرادت عقلية وزير معارف مسئول أن تصنع .. وهى ؟ فى منتصف القرن العشرين .. فى عصر يقوم كله على العلم والثقافة .

وبعد .

ماذا إستفادت الرجعية بوزرائها وكهاتها من محاولاتها الوقوف أمام المرأة ؟

هل استطاعت أن تمنعها من نزع الحجاب ؟ هل نجحت فى حرمانها من الالتحاق بالجامعات والسفر فى بعثات علمية إلى الخارج ؟ هل أفلحت فى منعها من الاشتغال بالطب والمحاماة والصحافة ووظائف الدولة ؟ بل

هل استطاعت أن تمنعها من الإلتحاق بالحرس الوطني والتدريب
العسكري؟ كلا .

هذه هي الحقيقة التي نهدىها اليوم لسدنة الرجعية والسكهانة عالمهم
يؤمنون بها وهم يحاولون الآن أن يقفوا بين المرأة وبين حقوقها
السياسية . وأن يتركوا التطور يأخذ مجراه الطبيعي بدلا من أن يجبروه
على الدخول معهم في جولة جديدة من الصراع ستكون هي الجولة
الآخيرة ، وفيها سيلقون حتفهم لا محالة .

الأسرة والزواج

الدساتير الحديثة والأسرة

الأسرة هي البيئة الطبيعية التي يخلق فيها الإنسان ويربى إلى أن ينمو ويتزعرع فيشق طريقه في الحياة . هي إذن الخلية الأساسية في كيان المجتمعات الإنسانية .

ولقد أصبح من أهم أهداف الأمم المتقدمة — في العصر الحديث العناية بالأسرة ، وحل مشاكلها وتحقيق مايلزمها من ثبات واستقرار والعمل على رفع مستواها الاجتماعي والمعيشي .

ولقد بلغ من اهتمام الأمم المتقدمة بالأسرة الزوجية أن نصت في دساتيرها نصوصاً تنظم الأسرة وتحل مشاكلها ونذكر على سبيل المثال

الدستور الإيطالي حيث نص في م ٢٩ على ما يأتي :

« تعترف الجمهورية بحقوق الأسرة وهي شركة طبيعية تقوم على أساس الزواج .

ويقوم الزواج على أساس المساواة الأدبية والقانونية بين الزوجين في الحدود التي يعينها القانون لضمان وحدة الأسرة . »

وجاء في م ٣٠ م على الوالدين واجب وهو كفالة وتعليم وتربية أولادهم حتى إذا ولدوا خارج الزواج .

وفي حالة عدم كفاءة الوالدين يكفل القانون القيام بهذه الواجبات وجاء في م ٣١ « تشجيع الجمهورية بأجراءات اقتصادية وغيرها تكوين الأسر والقيام بما عليها من واجبات مع مراعاة حالة الأسر الكبيرة بوجه خاص

وتحمي الأمومة والطفولة والشباب بتشجيع الهيئات المختصة في هذا الشأن ، ...

وفي الدستور الياباني ، نصت م ٣٤ على أنه :

« لا يقوم الزواج إلا على أساس رضا الطرفين ويظل قائما عن طريق التعاون المتبادل على أساس المساواة في الحقوق بين الزوج والزوجة . وينظم القانون مسائل اختيار الزوج ، وحقوق الملكية ، والميراث واختيار المسكن والطلاق ، وجميع المسائل الأخرى المتعلقة بالزواج والعائلة على أساس الكرامة الفردية . »

وفي دستور ألمانيا الغربية نصت م ٦ على ما يأتي :

- ١ — الزواج والأسرة موضوعان تحت حماية الدولة .
- ٢ — تربية الأولاد حق طبيعي للوالدين وواجب عليهما . وتسهر الجماعة في الدولة على طريقة اضطلاعهم بهذه المهمة .
- ٣ — لا يجوز فصل الأولاد عن أسرهم ضد إرادة الذين لهم حق

التربية الا بقانون في حالة تخلى هؤلاء أو عندما يكون الأولاد لأسباب أخرى مهددين بالحرمان من هذه العناية .

٤ -- لكل أم الحق في حماية المجتمع ومساعدته .

٥ -- يجب أن يكفل التشريع للأولاد الطبيعيين الظروف اللازمة لهم الجسماني والأدني أسوة بالأولاد الشرعيين .

وفي دستور ألمانيا الشرقية تقول م ٣٠

٦ -- يعتبر الزواج والأسرة أساس حياة الجماعة ويتمتعان بحماية الدولة تلغى جميع القوانين والأحكام التي تعرقل المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة .

وتنص م ٣١ على أن :

« تربية الأولاد بقصد جعلهم رجالا قادرين جسميا وروحيا في نظر الديمقراطية حق طبيعي للوالدين وواجب أساسي ازاء المجتمع ،

وفي م ٣٢ :

للمرأة أثناء الولادة الحق في حماية الدولة لها وفي الحصول منها على عناية خاصة وتضع الدولة القوانين لحماية الأمومة . ويجب إنشاء هيئات لحماية الأمهات والأطفال .

وكذلك نص الدستور الفرنسى على حماية الأسرة والامهات والأطفال فى الفقرة الأولى والثانية والثالثة فى الجزء التمهيدى وكذلك الاعلان العالمى لحقوق الانسان فى المواد ١٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ مما لا يتسع المقام لذكره .

هذه أمثلة نبين بها الى أى حد أصبحت كل دولة متمدنة ترعى الأسرة والطفولة والامومة ونحن فى مصر أحوج إلى هذه الرعاية بعد أن وصلت حالة الأسرة المصرية إلى الحضيض .

مسئولية المجتمع عن اضطراب الأسرة :

نحن نعيش فى ظل مجتمع موفور الحظ من الفساد الخلقى ، إستشرى فيه الفقر حتى أضناه وتفش فيه الجهل حتى هدمه أو كاد يدمه . . ثم هو مجتمع أسلم زمامه لمجموعة باهظة من التقاليد الاجتماعية أبت هى الأخرى إلا أن تسوقه إلى التأخر والانحلال !

هذا المجتمع نحمله المسئولية الكبرى عما أصاب الأسرة المصرية من الفساد الدائم والقوضى التى لا تريد أن تؤذن بانتهاء . . مجتمع فقير لا بد أن يتعدى فقره إلى الأسرة فيشيع فيها الفساد بكل أنواعه وتشكيلاته مجتمع جاهل لا بد أن يهدى جمهله إلى الأسرة فيشوهها ويجعلها أضحوكة وسخرية ؟

ولقد أصبحت المشكلة الأولى التى تواجه الأسرة المصرية هى مشكلة

العيش ومشكلة العيش في الاسرة لا يمكن أن تحل إلا إذا حلت في المجتمع العام أولا ، وارتفع مستواه المعيشي ، ووجد كل انسان المسكن النظيف والمأكل والملبس والعلاج .

إن الاحصاءات تسجل أن متوسط دخل الفرد في مصر ٣٦ جنيه في السنة أى ٣ جنيه في الشهر ، فإذا عرفنا أن فردا في الأسرة هو الذى يعمل وهو الأب أو الزوج امكـننا ان ندرك البؤس الذى يحيط بالأسرة المصرية من كل جانب .

ثلاثة جنيهات في الشهر كيف تستطيع أسرة أن تأكل وتلبس وتعلم وتعالج نفسها بهذا المبلغ ؟ .

فاصلاح المجتمع العام من الوجهة المادية ، ورفع مستوى الفرد الاجتماعى والمعيشى هو الطريق الأول الذى يؤدى بنا إلى أسرة سليمة تتطلبها نهضة بلادنا الحديثة ويرتضيها التطور .

واصلاح المجتمع يجب أن يكون من الوجهة الادبية أيضا وذلك يستلزم تحريره من التقاليد الاجتماعية التى ألحقت بالاسرة ضررا بالغا وإن كان بطريق غير مباشر . فهى

اولا : أبقت مركز المرأة في المجتمع منحطا وحفظته على الطراز البدائى إذا إستثنينا مجموعة من النساء تحررن من التقاليد .. .
ففي المجتمعات البدائية يفرض الرجل السلطة المطلقة على المرأة ويعتبرها دائما أقل منه منزلة وكرامة ... وفى مجتمعا ، جماعات بدائية مازالت تعتبر

المرأة هذا الاعتبار حسب التقاليد التي درجت عليها .

وقد يسألنا القارىء .

وما أثر هذا على مركز الأسرة ؟ فأجيب أنه لا أثر الخطير .. فالرجل الذى دربه تقاليد المجتمع على عدم إحترام المرأة كوطنية فى المجتمع العام ، والذى دربه على عدم التعاون معها ، وأهمته أن رجولته وشهامته تستلزم التساط على المرأة مثل هذا الرجل لا يمكن أن يفهم فلسفة الحياة الزوجية وأنها تقوم على التعاون والحب والاحترام المتبادل ولذلك يدخل حياته الزوجية والفكرة التى تساط عليه أنه السيد المطاع وأن زوجته لا إرادة لها بجانب إرادته ، ولا احترام لها كما تحترمه وهذا أول مسمار فى نعيش الحياة الزوجية خصوصاً إذا تزوج بامرأة تعتبر نفسها مساوية له تمام المساواة .

أعرف شباباً لم يكن يحمل للمرأة إلا كل إحتقار وقد نشأ فى أغلال ثقيلة من التقاليد والعادات وكان يردد دائماً هذه العبارة .

« إن الرجل عليه دائماً أن يراقب زوجته ، ويخضعها لرأيه وملكته لأن المرأة إذا تركت بغير رقابة تفسد » .

عبارة تدل على أن عقلية زمن الحريم والحجاب ما زالت تسيطر على عقله . هذا الشاب تزوج فى السنة الماضية وحاول فيها أن يترجم أفكاره وتقاليدته إلى العمل . ولكنه لم يستطع الاستمرار فى حياته الجديدة أكثر من سبعة

أشهر ... ومن طراز هذا الشباب كثير جداً أفسدتهم التقاليد وأفسدت معهم حياتهم الزوجية.

لو أنهم كانوا في مجتمع علمهم إحترام المرأة ودرّبهم على التعاون معها لدخلوا حياتهم الزوجية ، مدربين على التعاون مع من ستشاركهم حياتهم الزوجية ، فاعلمين أصول هذه الحياة ، وعلى أى أسس تقوم. كما هو الحال عند شباب أوروبا .

ثانياً : إحتراما لهذه التقاليد منع الاختلاط قبل الزواج ، وحرم الحب الذى يجب أن يكون هو الأساس الأول لزواجنا ... ولذلك يستقبل الشاب والفتاة حياتهما الزوجية ويكاد كل منهما يحبل الآخر جهلا تماما .

نتيجة هذا - فى أغلب الحالات - فشل الزواج . إذ يجد كل من الطرفين نفسه على بعد كبير عن الآخر فى الطباع والأخلاق والآراء . بل يحدث كثيرا أن تقع الفتاة فى غش لا يكشف أمره إلا بعد زواجها . من ذلك مثلا ما وجدناه فى محكمة مصر الجديدة الشرعية . فن بين ٣٠ زوجة فى مستقبل العمر ٢٤ زوجة أساس دعواهن أنهن وقعن فى غش أكتشف أمره بعد الزواج .

فهذه تقول لك : أنها تزوجته بعد أن أوهم أهلها أنه يمتلك كذا وكذا ثم إتضح أنه لا يمتلك شيئا .

وهذه تقول لك : إنها لمكتشفة بعد زواجها أنه متزوج من أخرى وأنجب منها بنتاً .

وتلك تقول : أنه تظاهر بالاخلاق السكريمة عند خطبتها ولكن لم تضح بعد السنة الأولى من الزواج أنه شرس الاخلاق جاف الطباع . كل هذه المآسى كان من الممكن تجنبها لو ان المجتمع تحرر من تقاليده وأباح الاختلاط قبل الزواج . إذ لدرس كل من الخطيبين الآخر دراسة وافية ، ولوضع كل منهم يده على عيوب الآخر وإستطاع ان يعرف بعد ذلك إن كان الطرف الآخر يصلح له زوجاً أم لا .

وهذا ما يحدث في المجتمعات الإختلاطيه ولكننا نشذ عن هذا الطريق السليم ونذهب ليجمع بعض المعلومات عن الزوج أو الزوجة من بعض المعارف أو الاصدقاء ، وغالباً تكون هذه المعلومات خاطئة مراعان ما يبدو الخطأ في السنين الأولى من الزواج .

والعل هذا هو السبب في كثرة الطلاق في السنين الأولى من الزواج كما تسجل الاحصاءات (١)

نسكتفي بهذا القدر الآن فيما يختص بالزواج ، وسوف نعود اليه في بحث خاص لنبين الأساس الذي يجب أن يكون عليه زواجنا حتى نضمن حياة زوجية سعيدة .

(١) أنظر كتاب علم الاجتماع — لادكتور صلاح العبد .

والآن نتقل الى التعرض لاعداء ثلاث يدفعون المجتمع الى الطاوية .
إنهم :

١ — الطلاق :

لم يشرع الاسلام الطلاق ليلهو به الناس ويهددون به في حق كما يفعل الكثيرون ، وانما شرعه للضرورة القصوى وبعد استنفاد كل وسائل الإصلاح بين الزوجين .

أجل كان لا بد أن يضع الاسلام هذا القيد على الطلاق حتى لا يصبح معول الهدم في صرح الامم والشعوب . ويتضح هذا من قول الرسول عليه الصلاة والسلام .

« إن أبغض الحلال عند الله الطلاق ،

ومن قول الله تعالى :

(وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تنكروها شيئاً
ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

ولقد روى أن رجلاً جاء إلى عمر يستشيريه في طلاق زوجته فقال
له عمر (لا تفعل) فقال الرجل (ولكني لا أحبها) فرد عمر قائلاً

(ويحك أو لم تكن البيوت إلا على الحب ، فأين الرعاية ؛ وأين
التدعيم ؟) .

يقصد بذلك أن البيوت إذا عز أن تبنى على الحب ، ففي الامكان

أن تبني على الرعاية التي تبث الحنان في جوانبها . وعلى التذم الذي يأتي معه الرجل أن يصبح مصدراً لتفريق الشمل وتقويض البيت وشقاء الأولاد .

هذا هو حكم الاسلام فيما يختص بالطلاق وخلاصته ، أنه لا يجب إلا عندما تصبح الحياة الزوجية جميعاً لا يطاق وتفشل كل وسائل الإصلاح بين الزوجين .

وإذا نظرنا إلى المسيحية ، وجدنا أنها تتفق مع الاسلام في الحكم ، فهي تمنع الطلاق إلا في حالات خاصة ... فالمذهب الارثوذكسي لا يبيح الطلاق إلا لأمر من الأمور الآتية :

- ١ — الخيانة الزوجية .
- ٢ — العقم لمدة ثلاث سنوات .
- ٣ — المرض المعدى
- ٤ — الخصام الذي يمتد أجله ويتعذر الصلح معه .

والمذهب البروتستنتي لا يبيح الطلاق كذلك إلا في حالات خاصة منها الخيانة الزوجية ، والقسوة ، وسوء المعاملة ، وجنون أحد الزوجين . وتعتمد المذاهب المسيحية التي تبيح الطلاق في حالة الخيانة على ما جاء في إنجيل متى على لسان السيد المسيح عليه السلام .

« من طلق امرأته إلا بسبب الزنى يجعلها تزني ، ومن يتزوج مطلقة يزني » .

أما المذهب الكاثوليكي فقد حرم الطلاق تحريماً قاطعاً معتمداً على ما جاء في الانجيل الشريف على لسان المسيح .

(لا يصح أن يفرق الإنسان ما جمعه الله) .

ولكن بالرغم من إعتناق فرنسا المذهب الكاثوليكي إلا أنها أباحَت الطلاق في حالة واحدة من ثلاث حالات وهي :

١ — الزنا من أحد الزوجين .

٢ — تجاوز الحد والاهانة البالغة في معاملة أحد من الزوجين الآخر

٣ — الحكم على أحد الزوجين بعقوبة قضائية مهينة .

كما سبق زى أن جميع الأديان قد كرهت الطلاق ، وإعتبرته شراً يهدم الأسرة والمجتمع .. ولسكننا زى بعض المسلمين (وما أكثرهم) يلعبون باللفظ كأنهم أطفال صغار يلهون بدمية صغيرة غير مقدرين خطورة النتائج التي ستترتب على هذا الاستهتار والعبث .

هؤلاء سرطان في جسم المجتمع أن يتطهر منه ... وإن أخطر ما تتعرض له الدولة أن تسمح بأن يظل في يد المستهتر حقاً يستعمله في الاساءة إلى مجتمعه .

لذلك يجب تقييد الطلاق وجعله أمام المحكمة وفي حالات إستثنائية خاصة . وفي رأى أن تكون هذه الحالات الخاصة هي الحالات التي يسمح من أجلها المذهب الأرثوذكسى بالطلاق .

(الخيانة الزوجية — المرض المعدي — الخصام الذي يمتد أجله ويتعذر الصالح معه) .

وهنا سنرى كهنة آخر الزمان يطلون برءوسهم ، باكين أو متباكين على الدين ... قائلين كيف تسلبون حقاً من رجل أعطاه له الدين وتجعلونه للمحكمة .

وإلى هؤلاء وأمثالهم نسوق أقوى الأدلة على أن تقييد الطلاق وجعله أمام المحكمة ليس فيه إعتداء على الدين .

أولاً : كان الطلاق الثلاث في مجلس واحد بقع طلقة واحدة في عهد الرسول .

وفي عهد أبي بكر ... فلما جاء عمر وجد أن الناس إستغلوا هذا التسامح وكثر — في أوساطهم — الطلاق . فأراد أن يردهم عن هذا الشر بطريق غير مباشر .. فإذا فعل .

غير ما كان عليه الحكم في عهد الرسول وأبي بكر وأمضى الطلاق الثلاث في مجلس واحد ثلاثاً . بحيث لا يصح بعده رد المطلقة إلا إذا تزوجت من آخر . وفي ذلك قال عمر .

« إن الناس قد استمرموا هذا التسامح فلنمض الثلاث ثلاث ، فهل كان عمر يعتدى على الدين !! »

ثانياً : عندنا تفويض مطلق من الرسول في أمور دنيانا بمقتضى هذا الحديث :

وَأَتَمُّ أَدْرَى بِأُمُور دُنْيَاكُمْ .

والطلاق هذا ليس من أمور الآخرة ، بل هو أمر من أمور الدنيا . فإذا وجدت الدولة مجتمعها في خطر وأبصرت بآلاف الأطفال الأبرياء يشردون كل عام بسبب الطلاق ، فقامت لتقضى على هذا الطوفان بالقوانين يقال بعد هذا أنها إعتدت على الدين . . . أم يقال أنها طبقت حديث الرسول السالف الذكر وعملت به .

ثالثاً : الاسلام أعطى الانسان حق التصرف في أمواله بكافة أنواع التصرفات القانونية ، ولكنه في نفس الوقت أباح أخذ هذا الحق فيه بالحجر عليه متى أساء استعمال هذا الحق وتصرف في أمواله تصرفات ينتج منها الضرر البالغ به وبورثته .. وكذلك إذا كان الاسلام قد أعطاه حق الطلاق فهو في نفس الوقت لا يمنع أن يأخذ الحاكم هذا الحق منه متى أساء استعماله وهدد المجتمع بالدمار .

ونحن نحب أن نسأل كهنتنا هذا السؤال :

هل يبيح الاسلام بكلمة من ست حروف تخرج من فم مستهتر هدم المجتمع البشرى وتشريد أطفال أبرياء ودفعهم إلى الشوارع أو الملاهي ! لا يمكن أن يبيح هذا وأعتقد أنكم تؤمنون بهذا .

إذن ما هو وجه التحريم إذا رأت الدولة أن تمنع التلاعب بهذا اللفظ الخطير وأصدرت تشريعاً يجعل الطلاق أمام المحكمة !

إنه بجانب إيماننا بوجوب صدور مثل هذا التشريع الذى يحفظ للأشيرة سلامتها وكيانها، نرى أيضاً أن تجند الدولة بمجموعة من الخبراء الاجتماعيين لدراسة أسباب الطلاق وبواعثه فى المجتمع المصرى .

ولقد وجدنا فى كتاب علم الاجتماع للأستاذ الدكتور صلاح العبد ثلاث جداول تبين أسباب الطلاق فى المجتمع ننقلها هنا .

حالات الطلاق حسب الأسباب من جهة الزوجة

عدد حالات الطلاق		أسباب الطلاق
عام ١٩٥٠	عام ١٩٤٧	
٣٦٢	٣٦٨	المرض
٥٨	٤٦	كبر السن
١١٥٨	١١٣٧	عدم النسل
٧٢٨	٨٨٤	سوء الأخلاق
١٩٠	٣٢٨	الخيانة
٢٣٧	٦٥	عدم الدخول فى الطاعة
١٨٢	١٥٥	اهمال مصالح الزوج
٨٥٧٤	٢٨٣	الكراهية
١٩٩٨	٢١٦٧	أسباب أخرى
١٣٢٤٩٢	١٢٢٣٨٣	الجملة

حالات الطلاق في مصر حسب الاسباب من جهة الزوج

عدد حالات الطلاق		أسباب الطلاق
عام ١٩٥٠	عام ١٩٤٧	
٤٢٨٤	٥٥١٦	الاعسار
١٢١	١٤٤	كبر السن
٥٤٥٥	٥٨٤٩	الزواج بأخرى
٢٨٧	٢٣٥	سوء المعاملة
٢٨	٦٨	اهمال مصالح الزوجية
١٦٥٤٦	١٦٨٧٢	السكرانية
١٧٣	٣٠٤	المقامرة
٤	٥	المخدرات
٤٠٨	٤٢٨	المرض
٥٧	١٨	السكر
١٩٠٣	٢٢٦٩	أسباب أخرى
٢٩٢٢٦٦	٣١٢٦٠٨	الجملة

حالات الطلاق في مصر حسب الأسباب من جهة الزوجين معاً

عدد حالات الطلاق		أسباب الطلاق
عام ١٩٥٠	عام ١٩٤٧	
٢٤	٩٦	اهمال مصالح الزوجين
٩٤١٤	٩٠٧٤	السكرانية
٤٧	٢٠	الاخلال بالشروط
١٠٨١٠	١٠٦٢٦	عدم الموافقة
٨١١٩	٧٠٤٧	النزاع والشجار
٢٦٢٩	٢٣٩٢	سوء المعاشرة
٢١٢٣	١١٨٥	أسباب أخرى
٤٢١٢٣	١٠٤١٣	الجملة

بالمقارنة بين سنة ١٩٤٧ ، سنة ١٩٥٠ في الجداول السابقة نرى ظاهرة غريبة وهى ارتفاع حالات الطلاق في سنة ١٩٥٠ !

وإذا صح ماقرأته في بعض الصحف من أن حالات الطلاق بلغت سنة ١٩٥٣ أكثر من مائة ألف ، أمكننا أن نتخيل المجتمع المصرى وهو في طريقه إلى الانهيار . وأن بضعة آلاف من الأطفال الأبرياء في طريقهم إلى أسوار الأزبكية حيث المأوى لكل طفل شريد !

ومن الجداول الثلاثة السابقة نرى أن السبب الأول للطلاق هو الكراهية إما من جانب أحد الزوجين أو من جانبيهما معا .

ففي سنة ١٩٥٠ وقعت ٨٥٧٤ حالة طلاق لهذا السبب من جانب الزوجة ، ووقعت ١٦٥٤٦ حالة لهذا السبب أيضا من جانب الزوج ! وهذه الكراهية تنشأ من عدم وجود الانسجام الروحي والمشاركة الوجدانية بين الزوجين وإختلاف الأمزجة والمشارب بينهما وعدم الاستجابة الجنسية بين الطرفين وهو موضح في الجداول السابقة .

وكل هذا نستطيع أن نتجنبه لو أن الزواج في مجتمعاتنا يقوم على أساس صحيح وهو ما سنوضحه - كما وعدنا - عند كلامنا عن الزواج .

(ب) بيت الرق (بيت الطاعة)

قلنا أن الطلاق شر كرهته الأديان وحشت على التريث والتردد قبل الإقدام عليه . ولكننا نقول - أيضا - أنه بجانب ذلك لا نقر أبداً الاكراه في الحياة الزوجية بمعنى أن تعاشر الزوجة زوجها كرها ورغم أنفها أو يعاشرها هو كرها وإجباراً .. ولذلك رأينا المذهب الأرثوذكسي يجعل من الخصام الذي يمتد أجله ويفشل الصلح معه مبرراً للطلاق . والاسلام أيضا يمنح إلى هذا . في قول الله تعالى :

« وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدأ صلحا يوفق الله بينهما » .

ومعنى هذا أن الطلاق واجب إذا استحکم الخلاف وفشل الصلح
ولان تجدى أى وسيلة أخرى للتوفيق ، وإلا كانت الحياة الزوجية جميعها
لا يطاق .

والكن الذى يحدث عند المسلمين أن الزوج يستطيع بكلمة واحدة
أن يطرد زوجته ويهدم حياته الزوجية ، بينما إذا إستجارت الزوجة
بالمحكمة لتخليصها من الزوج المستهتر العايب حكم عليها بالدخول فى بيت
الطاعة !! وهذا مظهر آخر من مظاهر إذلال المرأة والاعتداء على
كرامتها وإنسانيتها فى هذا المجتمع المسكين ، كما أنه وصمة عار فى جبين
الاسلام .

ولست أعرف أى كرامة لرجل — ودعونا نسميه رجلا من باب
التجوز والشفقة — يذل زوجته ويسمى معاملتها ثم بعد ذلك يتمسك
بعشرتها معه .

هل هو حريص على الحياة الزوجية وعدم تشريد أولاده ؟ كلا ...
هو غير حريص على ذلك ، وإنما هو حريص على أن تبقى سلطته ويبقى
إذلاله لزوجته ، وهو أحرص على أن تتمرغ رجولته فى التراب وتهبط
إلى أسفل السافلين عندما يصير بسخف على معاشرة زوجة لا تريد أن
تعاشره وتحمل له كل إزدراء وإحتقار !

ولو أنه حريص على الحياة الزوجية وسلامة الأسرة لتجنب المشاكل

التي تدفع بالزوجة إلى كراهيته واحتقاره وطلبها الانفصال منه .

ولقد ثبت أن طلب الزوج زوجته للدخول في بيت الطاعة ، إنما يقصد منه مجرد التشفي والانتقام ، فإذا طلبت الزوجة من المحكمة أن تنقذها من زوج رذل مشاغب قام هو بهجود مضاد وسلاحه بيت الطاعة .

ثم إنى أسأل هؤلاء القضاة الذين يحكمون للزوج بطلبه : أى سند من الدين تستندون عليه في حكمكم هذا ؟ ومن الذى يحق له أن يجبر زوجة على معاشرة الزوج السيء الخلق ؟ وما الفائدة من بيت الطاعة إذا كانت الحياة الزوجية فيه نار تحرق وجع لا يطق ؟

حقيقة أن الاسلام لا ييسر هنم البيوت ولا يضع الحياة الزوجية تحت رحمة نزوات المرأة ولا يقر نشوزها ، ولكنه أيضاً لا يقر حياة زوجية قائمة على الاكراه والبغض والنشفي والانتقام . . . فان لم تكن قائمة على التعاون والمساواة والصفاء والاحترام المتبادل والحب الصحيح فيستحسن التحلل منها .

وعندنا من الدين أدلة على صدق ما نقول : ففي القرآن إشارة إلى أن الحياة الزوجية لا يمكن أن تبنى على الاكراه والضغط إذ يقول الله : « فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان » وفي آية أخرى يقول الله : « فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف » .

ولقد جاءت امرأة — ذات يوم — إلى رسول الله عليه السلام ، وقالت له :

— يارسول الله . إني لا أعتب على ثابت في خلق أو دين . ولكني لا أطيقه بغضا .

فسألها الرسول « أتدين عليه حديقته ؟ » وكان الزوج قد أمهرها بها .
أجابت — نعم أردتها .

وجد الرسول في الكراهية سلبا يبيح الانفصال ، بالرغم من أن هذا الزوج لم يكن يسيء إلى زوجته بدليل قولها « إني لا أعتب على ثابت في خلق أو دين » .

وكانت للسيدة عائشة جارية متزوجة فأعتقتها ، فأرادت أن تنفصل عن زوجها ، فسار وراءها يبكي ، فرآهما رسول الله وقال للزوجة « إتقي الله ، فردت عليه قائلة « أتأمرني ؟ » قال لا بل أشفع . وبالرغم من ذلك أصرت الزوجة على ترك زوجها .

ولم نسمع أن الرسول أمر بإدخال الزوجة الأولى أو الثانية
بيت الطاعة !

إذن ، هذا السخف الذي يحمل إستهتاراً بإنسانية المرأة يجب أن يبطل .. وافهموا جيداً أن الحياة الزوجية لا تقوم على الاكراه والعبودية في بيت طاعة أو خلافه .. وليته سمي بيت الزوجية حتى يكون وقعة أخف .

الرق المستتر أو الجوارى المحظيات :

إن نثر نظام الرق إنذاراً تاماً ، وتحرر العالم المتعمدن من هذه الوصمة »

ولكن بقي في مصر وبعض البلاد الشرقية نوعا آخر من الرق ، هو مستتر يتمثل في جوارى محظيات أربعة ، وما هو ؟ أنه يتمثل فيما يسمى تعدد الزوجية . أساء المسلمون إلى دينهم أبلغ إساءة عندما سمحوا لهذا النظام أن يستثرى في أوساطهم ، وبلغت الإساءة إلى الدين الاسلامي الذروة عندما تمسك المسلمون بتعدد الزوجات في القرن العشرين حيث المدنية التي تمج هذا النظام وتحتقره .

والشعوب الغربية تطلق علينا لفظ الحميج عندما يبالغون أن جوارى محظيات أربعة يتزوج بهم رجل واحد في القرن العشرين .

وقد يواجهنا منطق : وهو كيف تقول أن المسلمين يسيئون إلى دينهم بتعدد الزوجية والدين نفسه سمح به ؟ هذا منطق ضعيف ، لأن الدين أعطى هذه الرخصة بيده اليمين وسحبها في نفس الوقت بيده الشمال بطريق غير مباشر عندما وضع شرطا يستحيل تطبيقه إذا أردنا أن نتمتع بهذه الرخصة .

لنسمع القرآن يقول : وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فتعدد الزوجية مشروط بالعدل التام المطلق ، فان لم نستطع أن نعدل يصبح تعدد الزوجات حرام .

وهل في استطاعتنا أن نعدل ؟ قد تختلف فيقول أحدها نعم تستطيع

أن نعدل وقد يقول آخر لا نستطيع وهكذا . ولكن لنسمع فصل الخطاب من الله سبحانه وتعالى فهو الذي يعلم إن كنا نستطيع أن نعدل أولا وهو أعلم بما في نفوسنا وأخلاقنا وحالتنا واتجاهنا .

أنه سبحانه يقول « ولن تستطيعوا أن تعدلوا ولو حرصتم » .

ويقول أيضاً « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو مملكت إيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » .

ومعنى العبارة الأخيرة : إن ذلك الاقتصار على امرأة واحدة هو أقرب الوسائل لعدم وقوعكم في الظلم (راجع الشيخ رشيد رضا ص ٤٣ حقوق النساء في الإسلام) .

تعدد الزوجات إذن رخصة أعطاها لنا الله في الآية (فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) وشرطها بالعدل في الآية (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) . ثم أخذ منا هذه الرخصة بطريق غير مباشر في الآية (ولن تستطيعوا أن تعدلوا ولو حرصتم) .

فهل بعد هذا يقال الإسلام يشجع على تعدد الزوجية ؟ أظن أن الذي يقول هذا هو مغفل .

وإذا كان الإسلام لم يحرم التعدد تحريماً قاطعاً ، فذلك — كما يقول الأستاذ الشيخ رشيد رضا — لاعتبارات إجتماعية ضرورية اقتضت وجوده في جزيرة العرب ، ورغم هذه الاعتبارات والضرورات قيد التعدد بشرط

العدل الذى يستحيل تحقيقه بشهادة القرآن نفسه .

أما فى عصرنا الحديث ، فقد زالت هذه الاعتبارات كلها ، وأصبحت المدينة الآن على عدام مع هذا النظام ، فوجب إذن وضع حد لهذا العبث الذى يسيء إلى الإسلام باسم الإسلام والإسلام منه برى .

وفى نشوة من الفرح والسرور أسوق إلى الذين يتمسحون بالدين كلما هموا بإضافة جارية محظية إلى بيتهم أروع دلالة على أنهم يظلمون الدين .

اسمعوا : لقد منع الرسول على بن أبى طالب من الزواج على فاطمة روى أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد والنسائى عن المسورين حمزه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :-

(إن بنى هاشم بن المغيرة ، استأذنوني أن ينسكحوا (يزوجوا) لابتنتهم على بن أبى طالب الا وإنى لا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينسكح لابتنتهم ، فإنما ابنتى بضعة منى يربىنى ما رابها ويؤذنى ما آذاها) .

وعند الذين يؤيدون التعدد رأى غريب : فهم يقولون أن عدد نساء مصر أكثر من عدد رجالها ، فإباحة التعدد تستوعب النساء الزائدات أى يتزوجن ١١١١

وهذا رأى الغريب يحل مشكلة لينخاى مشكلة أعقد منها . ويعالج جرحا بسيطا فى الأصبع يبطر هذا الأصبع ويطفىء شرارة بنار .

فصير الأسرة إلى الدمار التام من جراء التعدد وقد ثبت هذا بما لا يدع مجالا للشك فقد بينا في الجدول رقم ١ أن تعدد الزوجات من الأسباب المباشرة للطلاق : ٥٨٤٩ حالة من حالات الطلاق عام ١٩٤٧ كان سببها زواج الرجل بأخرى و ٥٤٥٥ حالة في سنة ١٩٥٠ لنفس السبب فاليس هذا دمار للمجتمع ؟

وليس في هذا ما يشير الدهشة فالتعدد يجعل حياة الزوجة جحيمًا لا يطاق ! ويولد الغيرة الشديدة بين النساء ونحن لانستطيع أن ندفع هذه الغيرة فهي شئ طبيعي في المرأة لا دخل لها فيه وقد عرفنا أن الرسول منع على من الزواج على إبنته فاطمة مراعاة لشعورها قائلاً : فانما ابنتي قطعة مني يريني مارا بها ، ويؤذي ما آذاها ، وعائشة وحافصة وهما المثل الأعلى للنساء لم يستطيعا أن يدفعا غيرتهما عندما تزوج الرسول صفيه بنت حبي وقالتا : نحن أكرم على رسول الله منها ،

أما أثر التعدد على الأولاد فهو لا يحتاج إلى بيان ويكفي أنه يخلق بينهما روح العداوة والبغضاء فكأننا عاجلنا مشكلة النساء الزائدات عن الرجال بتشريد ٥٨٤٩ امرأة سنة ١٩٤٧ ، وتشريد ٥٤٥٥ امرأة سنة ١٩٥٠ وملحقتهما من أولاد وأطفال . أى أننا عاجلنا مشكلة النساء الزائدات عن الرجال بخلق الاضطراب في آلاف الأسرات وخلق الاضطراب في المجتمع .

وليس تعدد الزوجات جحيم للمرأة فقط ، بل هو أيضا للزوج إذ

يجعله حائرا لا يهتدى إلى حال وقد قرأت ثلاثة أبيات في غاية الطرافة
للشيخ الطمطاوى يصف فيه سوء حاله فيقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى وقد حاز البلى زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا نعم بين أكرم نعمةين
فجاء الحال عكس الحال عذابا دائما ببليةين

ثم أن عصرنا الحديث بما يتطلبه من أعباء ماله لم يعد يسمح بتعدد
الزوجات لا فى الطبقات الغنية ولا فى الطبقات الفقيرة من باب أولى .
تصور فلاحا أو موظفا أو عاملا دخل كل منهم محدود . كيف
يستطيع أى منهم الاتفاق على زوجتين ؟

لقد فزع الأستاذ الإمام محمد عبده من هذا النظام ، فشن عليه حربا
شعواء لا هوادة فيها ولا رحمة وقرر أنه يستحيل تربية الأمة تربية
صحيحة مع وجود هذا التعدد الافسادى الذى صار يجب منعه عملا
بقاعدة لا ضرر ولا ضرار الثابتة فى الحديث . وقاعدة تقديم درء المفسد
على جلب المصالح المتفق عليها .

وكذلك حمل عليه الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا وقال : صار التعدد
مشارا لمفسد لا تنحصر فى الأزواج والأولاد وعشائر الزوجين حتى
إنقلب ما بيناه من أركان الزوجية الثابتة فى كتاب الله تعالى من حب
وموده ورحمه إلى أضدادها ،

فإذا جاء كاهن من كهنة الدين وقال بأن منع تعدد الزوجات ضد الدين ، فانما يقول هذا باسم الكهانة لا باسم الدين .

كذلك لا يصح لأحد بأن يحتج بتعدد زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام . فالرسول لم يتزوج بأكثر من واحدة لكي يكون ذلك من بعده سنة بدليل منعه لعلي من الجمع بين زوجتين . وانما تعددت زوجات الرسول لأن رسالته اقتضت هذا ، وليس أدل على أن الرسول كان يكره تعدد الزوجات من أنه قبل بعثته وفي السنين الأولى من بعثته إكتفى بـ زوجة واحدة فقط إكتفى بخديجة التي كانت تكبره بأكثر من خمسة عشر عاماً . إكتفى بها في وقت كان تعدد الزوجات عند العرب وعند الشرائع القديمة هو القاعدة وليس لها استثناء إلا بضعة حالات تعدد على الأصابع . فلماذا لم يتزوج الرسول على خديجة إذا كان يهوى تعدد الزوجات لغرض جنسى أو خلافة ؟ لو أنه تزوج على خديجة لكان له العذر لأنه كان في ريعان الشباب وكانت هي قد تعدت سن الشباب بكثير ولكنه لم يفعل .

فتعدد زواجه اذن بعد بعثته بسنين وبعد موت خديجة ، كانت للمصلحة الضرورية الاسلام . وأنت ما تقرأ عن ظروف زواجه بكل زوجة الا وترى مصلحة الاسلام واضحة وضوحاً تاماً في ذلك .

الزواج

بيئت في حديثي عن الطلاق ان من الاسباب الرئيسية المؤدية اليه الكراهية وقلت أيضا أن مرجع ذلك أن الزواج عندنا يقوم على أساس خاطيء وبغير سابق دراسة ومعرفة وهذا الأساس الخاطيء مستمد من تقاليد المجتمع وعاداته .

هو أشبه بالصفقة التجارية ، طرفيها الزوج والذى الفتاة . أما الفتاة نفسها فهى بضاعة تشحن بالطبل والزمزم إلى بيت الزواج !

وللزواج عندنا شروط تقليدية يجب توافرها في الطرف الأول أهمها أن يكون المهر مقداره كذا . وأن يمتلك كذا وكذا . فإذا كانت له هذه الامكانيات المادية رمت اليه الفتاة وكأنها فردة حذاء بالية !

يكفى الأم أو الأب أن يجمع بعض المعلومات عن الزوج من الاصدقاء والمعارف حتى إذا شهدوا بأن له من الصفات والامكانيات ما يرضى الآباء والأمهات تمت الصفقة وبيعت الفتاة وسلم مصيرها إليه .

الزواج في مجتمعنا على هذا الطراز . . . وإذا عارضت هذا ، قالوا لك انها التقاليد ورفعوها سلاحا في وجهك .

وصدقوني إذا قلت أن نتيجة هذا مأساة . . . يدخل الطرفان حياة أخرى مجهولة ولا يعرف أحدهما حقيقة الآخر ، ثم تنكشف رويدا

رويدا ، فيتضح أنه لم يكن الرجل الذى يصلح لها ، ولا هى التى كانت تصلح له . . . لاوافق عقلى بل اختلاف فى العقلية والتفكير . كذلك لا انسجام عاطفى لعدم التوافق فى الطباع والأخلاق الشخصية . . . وتبدأ حياتهما الزوجية تتحطم على صخرة التقاليد ، وقد يكون نتاج هذه الحياة أطفالا أبرياء يحтарون بين الأب والام .

وقد تسأل على أى أساس إذن نتزوج ؟ فأقول أن الأساس الصحيح لزواج سعيد هو الحب ولكن منا من لايعترف به ويعتبره غير مهم للزواج . . بل منا من يعتبر الحب فسادا ويترجمه إلى أفكار وأحاسيس يبرأ منها المتمدنون . منهم مثلا يعتبرونه شهوة جنسية بين الرجل والمرأة . وطبقا لهذا الاعتبار الهمجى للحب أصبحنا نرمى من يحبون بالفساد والانحلال !

ونحن حين نقول أن الزواج يجب أن يكون أساسه الحب ، لا نقصد تلك النظرة الطائشة له التى تتفشى بين المراهقين والمراهقات ولا نقصد ذلك الحب الجنسى الذى يرضى الجسد ولا يرضى العاطفة والروح ولا الحب الأفلاطونى الذى يترجمه الشعراء والفنانون إلى الشعر والغناء ! وإنما نعنى بالحب كأساس لحياتنا الزوجية . الحب بمعناه العلى الصحيح بمعناه الجميل الإنسانى . بمعناه الذى يفيد اكتمال إنسانية الرجل والمرأة فما هو إذن المعنى الصحيح له ؟

انه دارتباط بين رجل وامرأة أساسه الاتفاق العقلي والانسجام العاطفي والتجاذب الجنسي ،

ويجب أن تتوفر هذه العوامل الثلاثة بين الزوجين بدرجة متساوية ولا نقصد التساوى بلغة الأرقام وانما نقصد أن لا يطغى عامل على آخر بمعنى أن يطغى مثلا التجاذب الجنسي على الاتفاق العقلي والانسجام العاطفي لاننا نكون هنا أمام شهوة لاحب . أو أن يطغى الاتفاق العقلي ويعدم العاملين الاخرين إذ في هذه الحالة نكون أمام احترام عقلي متبادل لاحب . أو أن يوجد الانسجام العاطفي ويغيب العاملين الاخرين فإن هذه الحالة تسمى استلطافا متبادلا وهو غير الحب .

وسنشرح بإيجاز كل عامل من هذه العوامل الثلاثة :

الاتفاق العقلي

ليس المراد منه أن يكون رأيهما وتفكيرهما واحداً في كل الأمور صغيرها وكبيرها بحيث أن ما يراه الزوج هو ما تراه الزوجة أو العكس ذلك مستحيل ، وأن وجد فلا يكون إلا إذا سيطر طرف منهما على الآخر سيطرة عقلية وهذا ما لانقره لأنه بذلك تتلاشى شخصية أحد الزوجين في الآخر .

ولكن الاتفاق العقلي معناه تقارب الرأى والتفكير والنظر إلى مشكلة الحياة بمنظار واحد . واتفاق على الأهداف التي يبغيان الوصول

اليها . وهذا لا يمنع من أن يختلفا في بعض الأمور الجزئية التي لاتصلح لأن تكون سبباً في هدم حياتهما الزوجية .

أما إذا لم يكن تفكيرهما متقارباً ، وآرائهما مختلفة إختلافاً كبيراً أدى هذا إلى الشجار والمنازعات التي تؤدي آخر الأمر إلى الكراهية والنفور .

وفي هذا المعنى يقول الدكتور صلاح العبد في كتابة علم الاجتماع

ص ١٢٧ ، ص ١٢٨

« أن من أسباب الطلاق ، الاختلاف في الآراء والسلوك . إذ أنه في أحيان كثيرة يكون الرجل رجعيًا والزوجة متحررة من التقاليد أو بالعكس ، أو أن الزوج يؤمن بمذهب سياسي أو اقتصادي يخالف رأي الزوجة مما يجعلهما في شجار ومناقشات تؤدي إلى الانفصال . »

وطبيعي أننا لكي نعرف ما إذا كان هذا الانفاق العقلي متوافر عندنا أم لا ، يجب أن نختلط قبل الزواج وأن يدرس كل منا الآخر . ولأن هذا الاختلاط غير موجود في مجتمعنا لانعرف شيئاً عن عقلية الطرف الآخر وهذا يؤدي إلى الانفصال .

ولذلك يقول الدكتور صلاح العبد في ص ١٢٧ « عادات الزواج في مصر لاتعطى الرجل أو المرأة فرصة لمعرفة كل منهما قبل الزواج . إذ أن أكثر حالات الزواج تكون عن طريق الوالدين دون إعطائهما

فرصة للتعارف على بعضهما . والزواج الذى من أساسه الانسجام العقلى
أقل أنواع الزواج انتشاراً فى مصر .

الانسجام العاطفى :

معناه تجاذب نفسية وعاطفة كل من الرجل والمرأة .. هذا التجاذب
يجعل كل منهما فى اشتياق دائم لرؤية الآخر والحياة معه . بحيث إذا
غاب أحدهما عن الآخر بعض الوقت شعر بفراغ فى حياته .

ولذلك أعتقد أنه فى مصلحة الزوجين أن يغيب كل منهما عن الآخر
شهرأ أو شهرين فى العام حتى يتجدد دائماً الإشتياق والرغبة إلى كل منهما .

هذا الانسجام العاطفى يجعلهما فى إخلاص دائم ، ويبث عندهما
الشعور بالعطف والحنان .

وطبيعى أن هذا الانسجام لا يكون بين زوجين إلا إذا كان كل منهما
متقاربين فى الطباع والشعور والأخلاق الشخصية . فلا يوجد إنسجام
عاطفى وتجاذب نفسى بين زوجين أحدهما شرساً والآخر فاضلاً . أو بين
زوجين أحدهما فى طباعه يختلف عن طباع الآخر . وأيضاً يتعدم الانسجام
المذكور فى حالة فقد الاتفاق العقلى بين الزوجين .

التجاذب الجنىسى :

معناه أن يشعر الرجل بأن عاطفته الجنسية تقوده نحو امرأة معينة ،
هى زوجته ، والعكس .

ونحن لا يجب أن ننسكرك أهمية العلاقات الجنسية في عالم الزواج .
هذه الأهمية التي فرضتها الطبيعة حفظا لبقاء الجنس البشرى ... والتكافؤ
الجنسى بين الزوجين من الضرورات التي تحفظ الزواج من الانهيار .
فقد ثبت أن كثيراً من حالات الخيانة الزوجية مرجعها إلى عدم
الإستجابة الجنسية من أحد الزوجين ، كما ثبت من الإحصاءات التي
ذكرناها أن عدم التكافؤ الجنسي بين الزوجين من الأسباب الهامة المؤدية
إلى السكرامية والطلاق .

قلنا أن التجاذب الجنسي هو العنصر الثالث من عناصر الحب وأنه
يجب أن يتوافر في حياتنا الزوجية . بيد أن هذا التجاذب وحده لا يصح
أن نبني عليه حياتنا الزوجية . وإلا كنا في حالة الاشتهااء الجنسي .
وأخطر ما يتعرض له حياتنا الزوجية أن تقام على أساس الشهوة
الجنسية ، ذلك أن الشهوة ستزول بمرور الوقت وعندئذ نجد أن الأساس
الذي ارتبطنا عليه قد أنهار ، فينهار معه زواجنا .

لا وجود لحياة زوجية في ظل هذا الحب :

تحت ظلال هذا الحب يمكننا أن نقتل جرائم الأمراض التي تسبب
هدم الأسرة . أهمها شأنا الشجار والمنازعات التي تؤدي إلى السكرامية ،
والتي تؤدي بدورها إلى الخيانة الزوجية .

أجل يوم يقوم الزواج على الحب بعوامله الثلاثة السابق ذكرها ، يوم
يقضى على الخيانة الزوجية قضاء مبرما . فالرجل إذا أحب زوجته

وأخلص لها لن يفكر أبداً في خيانتها مع امرأة أخرى ولو انطبقت
عليها أوصاف فينوس .. وكذلك الزوجة التي تحب زوجها لن تخونه
أبداً مهما أحاط بها من إغراء ومشاكل مادية ؛ ولن يستطيع إنسان في
الوجود أن يحرصها على الجريمة والفسق .

أما إذا كانت قد تزوجت وهي لا تشعر بالحب لزوجها فان احتمال
وقوعها في الخيانة كبير جداً .

الاختلاط بين الجنسين

في هذا الفصل

- ١ - صفات المجتمع المتأخر
- ٢ - الاختلاط يساعد على رفع مستوى المعيشة
- ٣ - الانفصال لا يحفظ الأخلاق
- ٤ - الانفصال يورث الشذوذات الجنسية
- ٥ - السكيت هو الأب الشرعى للانحرافات الجنسية .
- ٦ - العلاج هو :-

الاختلاط

الرياضة

الثقافة الجنسية

صفات المجتمع المتأخر :

ان المجتمع الصالح هو المجتمع المتمدن . ، المجتمع الذى ينساق مع مواكب التطور ويبارك أساليب الحياة العصرية . . هذا هو المجتمع الذى ينال من احترام المتمدنين النصيب الأوفر .

أما المجتمع الساقط فهو الذى يشذ عن الحضارة وتنتشر فيه المبادئ الرجعية وأفكار القرون الوسطى . . . إنه مجتمع يستحق إحتقار البشرية المتقدمة . .

وأول ما نلاحظه على المجتمعات المتأخرة أنها إنفصالية . لها تقاليد تبرا منها الإنسانية المتقدمة . أهمها شأنها أنها لا تعترف بمساواة ولا تعاون بل بسيادة جنس على جنس وكذلك تمنع النصف الآخر عن العمل والانتاج .

كما أن مجتمع الإنفصال يتميز بالجهل ، ومحارب العلم باسم الدين وتخط فيه الأخلاق بإنتشار الشذوذات الجنسية . وهذا عكس المجتمع الإختلاطى .

ومن لا يريد أن يصدق فليتنفضل بإلقاء نظرة على مجتمعات الإختلاط الغربية ، ويقارنها بمجتمعات الإنفصال الشرقية ليرى السماء ويرى الأرض وإذا كانت هذه المجتمعات المتقدمة قد تخلت — سبحانه الله — عن

تقانيدينا الباهظة وأخلاقنا المزعومة فلانها قد جرّبها طويلا وشربها
كاسها المترعة بالفشل فكشفت عنها الغطاء والقتها بعيدا ومضت كالشهب
نحو الإرتقاء والتحرر.

فلنحذو حذوها ولنهدم أغلال التقاليد ولنحول مجتمعنا من الانفصال
إلى الاختلاط التام.

إن للإختلاط أعظم الفوائد والمزايا نذكر منها ناحيتين :

الأولى : إن الاختلاط يساعد على رفع مستوى المعيشة .

الثانية : إن الاختلاط أجدى للإخلاق العامة من الانفصال ،

الاختلاط يساعد على رفع مستوى المعيشة : —

بين أخلاقنا والبيئة التي نعيش فيها ارتباط وثيق تبدوا آثاره في
سلوكنا وتفكيرنا . وكلما تطورت البيئة وارتقت ، ارتقت معها الأخلاق
ونال سلوكنا حظا وفيرا من الاستقامة ، وأصاب تفكيرنا شيء من
التجديد والرقى .

ففي المجتمعات المتأخرة نجد أخلاقا متأخرة ، وتفكيراً رجعياً سقيماً
وسلوكا طابعه التعصب والجمود . وبالعكس نجد في البيئات المتقدمة أخلاقا
متقدمة وتفكيراً حراً وسلوكاً راقياً .

خذ مثلاً حوادث القتل والسرقة ، تجدها شائعة في البيئات الفقيرة

والتي يسودها الجهل ، وقد تقع حوادث قتل لأتفه الأسباب ... بينما تجد مثل هذه الحوادث تكاد تنعدم في البيئات المتقدمة المثقفة .

لذلك فإن مشكلتنا الأخلاقية لم تعد تتمثل في إدراك أن هذا حلال ، وهذا حرام ، أو هذا خير وذلك شر ... فإن القاتل يعلم علم اليقين أن جريمة القتل لها عقاب يدفعه إلى جهنم خالداً فيها ، كما أن لها عقاب - في الدنيا - يقوده إلى السجن المؤبد أو إلى المقصلة ... ومع ذلك لا يعير هذا المصير أي التفات ، بل يوجه همه كله وتفكيره كله إلى الوسائل التي يرتكب بها الجريمة .

إذن فمشكلتنا الأخلاقية أصبحت تنحصر في إدراك نوع المجتمع وطبيعته . . فإن كان له مستوى معيشة منحط ... مكبل في أغلال من التقاليد الباهظة التي تعوقه عن التقدم والرقى ، فهو حقل خصب لبذر بذور الجريمة على إختلاف أنواعها .

ولعل «كارل ماركس» ، كان يقصد إلى هذه الحقيقة حين قال :
« إن ضمير الإنسان يتغير تبعاً لتغير علائقه الاجتماعية وحياته الاقتصادية ، فاسحقوا إستغلال الإنسان للإنسان تذهب العداوة ، وتذهب مع العداوة الرذيلة ، .

ولذلك إذا سمعت أن فلان قتل فلاناً أو سرقه ، فاعلم أن المجتمع هو الذي دفعه إلى القتل والسرقة ، لأنه لم يهتم بأن يرفع مستواه المعيشي

لئمنعه عن السرقة ، ولم يهتم بثقيفه وتمدنه لئمنعه عن القتل !!

إرتفاع مستوى المعيشة — إذن — حصن — يصد الجرائم ويحمي المجتمع منها ... ولست بحاجة إلى أن أبين أن إرتفاع مستوى المعيشة يتطلب تصنيع المجتمع وزيادة إنتاجه .. ولكن من الأخطاء التي مازلنا نجعل صحتها ، أثر المرأة في رفع مستوى المعيشة وزيادة الإنتاج . ذلك أنها تكون نصف المجتمع العام ، وعملها مع الرجل معناه أن المجتمع كله يعمل وينتج .. ومادام كل فرد في المجتمع يعمل وينتج .. ومادام أنه مطهر من فئة الرأسماليين الذين يعيشون عائلة على الطبقات الكادحة ، ينهبون أرزاقها ، ويستغلون مجهودها في الإثراء على حسابها ، فتأكدوا أنه مجتمع سليم متمدن .

ونظرة إلى مستوى المعيشة في المجتمع الاختلاطي الغربي ، ونظرة أخرى إلى مستوى المعيشة في المجتمع الانفصالي الشرقي ، لنجد فرقا كبيرا بين هنا وهناك .

وليس هذا الفرق — في نظري — مرجعه لإنتشار الصناعات خصب ، بل مرجعه أيضاً أن المجتمع الاختلاطي يحرك اليدين معا في الإنتاج — والعمل . يد الرجل ويد المرأة ... بينما مجتمع الانفصال لا يحرك إلا يداً في الإنتاج . إن كان له إنتاج — هي يد الرجل .

ويستتبع ذلك إزدياد الأيدي العاملة وإزدياد الإنتاج في مجتمع الاختلاط ، بينما تقل الأيدي العاملة ويهبط الإنتاج في مجتمع الانفصال .

ويمكننا أن نشبه الدولة بجسم الانسان والرئين هما بمثابة جنسى
الامة . فهل يكون الجسم سليماً قادراً على الحركة والعمل لو أدت رئة
واحدة عملها وتعطلت الأخرى ١ ؟

كنت أقول رأي هذا فى مجلس ضم بعض السكتاب والصحفيين
الأفاضل ، فاذا بكاتب يقول معارضاً ، أن اختراع الآلات الحديثة من
شأنها أن تقلل من الأيدى العاملة ، ولذلك يكون فى استطاعة المجتمع
أن يستغنى عن مجهود المرأة فى المصانع ،

وهذا خطأ ... لماذا ؟

لأن انتشار الآلات الصناعية لا يودى إلى كثرة البطالة كما يظن
للبعض — وقلة الأيدى العاملة ، بل يحولها إلى أعمال أخرى تنشأ نتيجة
اختراع الآلات الجديدة .

وفى كتاب صغير بعنوان « الرجال الأحرار يصنعون دولة قوية »
أصدرته السفارة الأمريكية بالقاهرة — نجد فى ص ١٥ ، ١٦ ما يأتى
تحت عنوان « الآلات الجديدة تفتح أبواباً جديدة للعمل » .

« عندما بدأت الثورة الصناعية ، تقدم التطور الاقتصادى وبخطى
سريعة جعلت بعض العمال اليدويين يفقدون أعمالهم أمام توسع التصنيع
الآلى .. ويحدث هذا عادة عندما تدخل الآلات ميدان الصناعة ، ولكنه
تحول وقتى فقط إذ سرعان ما تفتح أبواباً جديدة للعمل نتيجة دخول

الآلات الجديدة فتستوعب كثيراً من الأيدي العاملة .

ويذكر الكتاب المذكور أمثلة منها .

« أن ١٠٠.٠٠٠ (مليون) عامل من المشتغلين بأعمال الحوذية والمهن الصغيرة ، وجدوا أعمالاً أخرى عندما نشأ ٦٣٨.٠٠٠ عمل جديد في صناعة السيارات وبيعها وإصلاحها .

واليوم زاد عدد الأمريكيين الذين يصنعون الآلات عن عدد جميع العمال الذين كانوا يشتغلون بالصناعات المختلفة قبل مائة عام .

وفي الثمانين سنة الأخيرة ظهرت أنواع جديدة من الصناعات . بفضل الآلات الجديدة منها ٤ مليون صناعة يشتغل بها وحدها ١٣ مليون عامل .

ومصر الآن على عتبة ثورة صناعية ضخمة ، وقريباً سنرى المصانع الشاحنة تملأ رحاب الوادي ، وهذا كله يتطلب أيدي عاملة كثيرة ولذلك ، ستخرج المرأة إلى المصانع راضية أم مكروهين .

وعمل المرأة لا يقتصر على المصنع بل يجب أن يمتد إلى كل الأعمال التي يقوم بها الرجل حتى تساهم بعملها هذا في رفع مستوى معيشة الأسرة والمقاريء أن يسأل نفسه :

لماذا تنعم الأسرة الأوروبية أو الأمريكية أو الروسية ولا تقع تحت

ذل الشقاء والفقر ؟ الجواب واضح كل الوضوح ويتلخص في أن الرجل يعمل ويكسب ، والمرأة تعمل وتسكسب ، والأبناء القادرون يعملون ويكسبون . حتى طلاب وطالبات المدارس والجامعات يقضون عطلة الصيف في حرف يجمعون منها نفقات العام الدراسي المقبل .

أما هنا . . في بلاد التقاليد والفقر فان فرداً واحداً هو الزوج ينوء كاهله المصني بنفقات أسرة كاملة لأول لها ولا آخر ، فيذبذب شبابه ويهرم عزمه ويموت قبل الأوان مخلفاً وراءه سيدة مترهلة من السمنة والإكتناز .

وفي صيف العام الماضي عرضت السفارة الأمريكية بالقاهرة فيلماً يسمى « فتى أمريكي يبيع الجرائد » . من هذا الفيلم تستطيع أن تضع يدك بسهولة على أثر الاختلاط في رفع مستوى المعيشة .

ويتلخص موضوع الفيلم في أسرة مكونة من أب وأم وولدين وبنتين . الأب يعمل في مصنع . والام تشتغل وقت فراغها في مستشفى محلي . والابن الأكبر يدرس في الجامعة ولكن نفقاتها لا تكف الأسرة شيئاً لأنه يعمل وقت فراغه ويحصل من عمله على النقود الكافية لسد نفقات تعليمه وملبسه ، والابن الصغير طالب أيضاً في الجامعة وبعد الظهور لا يتأفف من توزيع الجرائد والمجلات لكي يحصل على المال اللازم لتعليمه الجامعي ولنفقات ملبسه أما الأخنتين فتعملان أيضاً وتسكسان من النقود ما يكفي لشراء اللازم من الثياب ومظاهر الحياة الحديثة .

هذا هو ما نريده أيضا في مصر . نريد أن يعمل كل فرد فيها ، الرجل والمرأة ، الشاب والفتاة .

وإذا كانت ثمة ظروف خاصة تمنع بعض النساء من العمل ، أو إنهن لا يملكن القدرة على الجمع بين العمل والمنزل فلا شك أنه يجب أن يتفرغن للبيت ولكن ليست كل النساء عاجزات عن الجمع بين العمل في البيت والخارج كما أنه ليست كل النساء متزوجات . . . فلماذا يحرم هؤلاء من العمل ؟ لماذا نحرم المجتمع من الاستفادة من مجهودهن !

قلنا أن أثر المرأة في خدمة المجتمع لا يجب أن ينسكركم ، ونستطيع أن نستمد من الريف أدله على ذلك . فعروف أن المرأة الريفية تختلط بالرجل ، وتعمل معه في الحقل واشتراكما في العمل يوفر وقتا وجهداً ويزيد الإنتاج الزراعى .

نفرض مثلاً أن فداناً من القطن يجنيه الرجال وحدهم . . فكم من الزمن تحتاجه لاتمام عملية الجمع ؟ لا أقل من أربعة ساعات يومياً . . أى أننا قطعنا وقتاً طويلاً في جمع ثمار فدان واحد وكثير علينا العبء بحيث أخر توجيه نشاطنا إلى نواح أخرى من الأعمال الزراعية . . ولكن عندما تشترك النساء أيضاً في عملية الجمع ، سيقبل العبء الملقى على عاتق الرجال ، وتستغرق العملية وقتاً أقصر ، وبذلك يتوفر الوقت لتوجيه النشاط إلى النواحي الزراعية الأخرى .

كذلك عمل المرأة مع الرجل في الحقل يدر على الأسرة الريفية أجرا مضاعفا فإذا فرضنا أن أجر الرجل يوميا عشرين قرشا، وكذلك المرأة يكون المجموع أربعين قرشا، بينما يكون النصف لو اقتصر العمل على الرجل وحده . . وكلما اشتغل فرد آخر من الأسرة كلما زاد دخلها .

هذه حقائق واضحة وضوح الشمس يريد نفر أن يحجبها بحجة التقاليد والأخلاق نفر لايهمه أبدا أن تتخلف البلد عن التمدن الحديث وأن يظل مستواها المعيشى منحط .

وأخيرا نوجه سؤالا إلى المعارضين في اشتغال المرأة :

هل كانت الولايات المتحدة أو روسيا أو غيرها من دول أوروبا تبلغ ما بلغته من ارتفاع في مستوى معيشتها إذا ظلت مجتمعاتها انفصالية لا يعمل فيها نصف الشعب ويظل أسيرا بين جدران أربعة ؟

والان نتقل إلى الأخلاق .

الإنفصال لا يحفظ الأخلاق :-

إننا نكون أشبه بالنعام إذا اعتقدنا أن ضرب أسوار العزلة بين المرأة والرجل يقيم شرفا أو يحفظ أخلاقا .

أجل نحن أشبه بالنعام في ظننا هذا ، لأننا ندس رموسنا في الرمال لننعامي عن الحقيقة . . . الحقيقة التي نحاول دائما أن تطرق رموسنا

بشدة منهية أن الفضيلة التي تقوم على ضغط لا تعتبر فضيلة وإنما هي تحفز إلى إباحية خطيرة وأن الشرف الذي يقوم على كبت لا يعتبر شرفاً جديراً بأن نطمئن إليه وعليه ، بل هو ثورة في النفس وثورة في الجسد لا بد أن تنفجر إن آجلاً أو عاجلاً ، ويكون لانفجارها دواها نائلاً يهدم الأخلاق ويزلزل أركان الفضيلة .

ومن يتطرق إليه شك في صحة كلامي هذا ، فليستفضل بالرجوع إلى التاريخ فإذا هو خير شاهد على هذه الحقيقة ... وليسأله .

ماذا كانت العاقبة عندما كانت الكنيسة تفرض أسوار العزلة بين الجنسين وتمطر الناس كل يوم سيلاً من المواعظ ، محذرة من الاختلاط ، ومصورة المرأة بصورة الشياطين ؟

سيجيئه التاريخ أن كانت العاقبة إباحية جنسية هبت تدمر أمامها كل شيء وتقتلع بريحتها وزوابعها تلك الأسوار الغليظة التي أقامتها الكنيسة ، ولم ترحم البابوات والقسس أنفسهم إذ توجهت إليهم فأطاحتهم عن عرش تقواهم الزائف ووضعتهم على رأس العريضة والفجور .

وفي ذلك يقول درافائيل سباتيني :

« أضحى ذلك العصر عاجزاً عن التمييز بين القديسين في الكنيسة ، والعاهرات في المدينة ، فسوى بينهم في التبجيل والتعظيم » .

ولقد حدث في الإسلام ما حدث في المسيحية ، فمن منتصف القرن

الثاني الهجرى إلى منتصف القرن الخامس بلغت الإباحية الجنسية الذروة وراجت الشذوذات الجنسية وواجهوا بيلا وما عصر أبي النواس بمجهول (١) فأى أخلاق إذن تحفظ ورام أسوار الانفصال ١١٩ وأى شرف ينشأ فى أغلال السكبت المميت ١٩

والله إننا لنكون أغبياء إذا اعتقدنا أن هذه الجدران الأربعة، وهذه الأبواب الغليظة الضخمة، وهذه الرقابة التى نفرضها على المرأة، تحفظ أخلاقنا أو تصون شرفنا ١١

ففى إمكان الفساد أن يتسرب خلال الجدران، ويحدث من هذه الأبواب، ويغافل أضخم الحراس والرقباء... وهذا ما كان يحدث فى عهد الحريم!

يقول الأستاذ اسماعيل مظهر فى كتابه « المرأة فى ظل الديمقراطية » ص ١٠٦ .

« وقد أعلم من عجائز روين لى وشهدن ذلك العصر أن الخصيان كثيرأ ما كانوا سعاة للبريد يحملون رسائل الحب والغرام الشفوية، أو يهيتون فرص الوصال بين محب مغرم ووالهة عظمى إلى الحياة .

« وما شأن المرأة فى ذلك الحصن المنيع الذى يجرسه خصى هو

(١) أنظر هذا ... أو الطوفان . خالد محمد خالد .

دونها أرومة ومجداً ، بل أنه خادمها والمستبد بها في آن واحد ؟ أية عقد نفسية تقوم في نفس المرأة في مثل هذه البيئة ، وأية أحاميس تتناولها وأية خيالات تساورها في الليل والنهار ؟ أظن أن مثل هذا لا ينتج خيراً .

« ولقد كان نتاجه أحد أمرين : إما إفراط في التشهى قد ينقلب ثورة جامحة تبحث لها عن منافذ بين نساء القصر أنفسهن ، أو استغراق في التعبد هو في حقيقته تهجير صارخ عن آلام نفسية حبيسة . »

نعود فنسأل المتزمتين عباد التقاليد ... أى فضيلة أو أى اخلاق تشددونها من تقييد المرأة في البيت ومنعها من الاختلاط بالرجل في المجتمع ؟

إستمعوا إلى عالم جليل هو أستاذنا الدكتور أحمد زكى مدير جامعة القاهرة يقول في مجلة روز اليوسف :

« إن ما يقال من أن الفساد الخلقي يعود إلى اشراك المرأة في الحياة العامة ، غير صحيح إطلاقاً . فلو أننا أمرنا باختفاء المرأة وتحجبها وخلودها إلى بيتها فهذا لن يصلح من الأمور شيئاً . فان الفساد يفتحهم الأبواب وينخل من النوافذ ويحدث وراء الحجب وأنى أوث الفساد الظاهر الذى يواجهنى وأواجهه ، عن الداء الخفى الباطن الذى ينخر ولا تراه عين ولا تسمع به أذن . . »

الانفصال يورث الشذوذات الجنسية :

قد يعترف بعض الرجعيين بالحق الواضح وهو أن الانفصال لا يمنع الخطايا الجنسية بين الجنسين . ولكنهم قد يقولون أن هذه الخطايا أقل عدداً في مجتمعات الانفصال .

ونحن إذا سلمنا — جدلاً — بهذا فلا يمكن أن نتجاهل خطراً واضحاً كل الوضوح في مجتمعات الانفصال ... ذلك هو نفشى الشذوذ الجنسي . والمجتمع الذى تنشر فيه عادة الشذوذ هو المجتمع المنهار أخلاقياً .

ولرب قائل يقول : إن الشذوذ الجنسي موجود أيضاً في مجتمعات الاختلاط ... فأقول نعم ، ولكنه من القلة الضئيلة التى لا تؤثر في الأخلاق العامة للمجتمع . كما أن الدولة هناك تقوم فوراً بالقضاء عليه وتطهير المجتمع منه . وتستدل على وجوده من الإحصاءات الجنسية التى تهتم بها اهتماماً كبيراً .

أما في مجتمعات الانفصال فالشذوذ الجنسي يكاد يكون هو القاعدة وعدمه هو الاستثناء ... ففي كل ألف قد تجد فرداً أصيب بهذه العاهة في المجتمع الإختلاطى ، وقد لا تجده . أما في المجتمع الانفصالى فإنك تجد في كل ألف ثلثمائة أو ربعمائة أصيبوا بهذه العاهة القذرة .

وقد يقال وكيف أصيب من أصيب بالشذوذ في المجتمعات

الاختلاطية بالرغم من قلنهم الضئيلة؟ فأقول أن اسكل شيء شواذ ، وأن إصابتهم بالعاهة المذكورة مرجعة إلى عيب طبعي فيهم ، ففي الرجل $\frac{20}{100}$ من صفات الأنوثة . وفي المرأة $\frac{20}{100}$ من صفات الرجولة فإذا زاد هذا الحد أو قل وقع الرجل أو وقعت المرأة في الشذوذ الجنسي .. وهذا ما يحدث في المجتمعات الاختلاطية إذا وجد عندها شذوذ .

فالشذوذ الجنسي الذي يصيب الرجل أو المرأة في جو الاختلاط ليس مرجعة السكبت الجنسي كما هو الحال في الأغلبية المطلقة من حالات الشذوذ في مجتمعات الانفصال .

والذي ينكر أن الانفصال يورث الشذوذ الجنسي ، ينكر حقيقة واضحة وضوح الشمس . ولعله في حاجة أكيدة إلى قراءة ما ذكره « ابن عرب » مؤلف تاريخ « تيمورلنك » ، مما يتصل بهذا الموضوع في صفحة ٢٢٨ .

فإن « تيمورلنك » لما عاد إلى « سمرقند » واستقر فيها كان قد حمل معه إليها بعض النساء من بغداد . والمؤلف هنا يقول في ذكر أبنائه وبناته بالحرف الواحد : —

« وبنت تدعى سلطان بخت ، زوج سليمان شاه ، كانت مسترجلة لاتحب الرجال . وذلك لما أفسدها النساء البغداديات ، لما قدمن لسمرقند ولها من توار يخ السوء » .

ولعل من ينسکر هذه الحقيقة في حاجة أيضا إلى قراءة أشعار الشاعر أبي نواس وتاريخ حياته . شاعر تمكنت منه هذه العاهة فأخذ يتغنى بها ويفتخر ولا يجد من يزجره ويحاكمه ، بل وجد من المجتمع الإنفصالي الذي عاش فيه إستجابة ونشوة لهذه العاهة الجنسية ... ولو أن المجتمع في عهده كان بريئا من الشذوذ لثار على أبي نواس وقدمه للمحاكمة ، كما ثار المجتمع الانجليزى على أوسكار وايلد وساقه إلى المحاكمة وسجن .

أجل ماذا نقول عن مجتمع يتغنى أعظم شعرائه بالعاهة الجنسية ، ومع ذلك يمجده المجتمع ويحد طربا وانسجاما من الاستماع إلى شعره ١٩ قطعاً وبكل تأكيد أن هذا المجتمع الإنفصالي تغشت فيه الشذوذات الجنسية بحيث لم يعد يخجل ١١ . وفي هذا دليل واضح على أن الفصل بين الجنسين قد جعل هذه الجريمة مما يمكن السكوت عنها ، والتسامح مع مرتكبيها .

ولكن أنظروا إلى المجتمعات الاختلاطية ، إنه بالرغم من القلة الضئيلة التي تصاب بالشذوذ فيها ؛ فإن المجتمع هناك لايسكت ولا يدس رأسه في الرمال كالنعام متجاهلاً أمرهم ، بل يشرع فوراً في حشد الأطباء والعلماء الاجتماعيين وعلماء النفس لعلاجهم . مثال ذلك ثورة رجال الكنيسة في بريطانيا عندما ظهرت بعض حالات الشذوذ الجنسي ومطالبتهم بعلاج الأمر ... وثورة رجال مجلس العموم ومنهم سير روبرت بوئي الذي طاب بالعلاج السريع .. وفي هذا الدليل القاطع

على أن مجتمع الإختلاط لايسكت على هذه الجريمة ولا يسامح مرتكبها .

أجل إن مجتمعات الاختلاط برينة من الشذوذات الجنسية إذا استثنينا بعض الحالات القليلة جداً .. ولكن مجتمعات الإنفصال يكاد يلتزمها هذا الشذوذ التهاما خصوصا تلك المجتمعات التي مازالت تقدر نظام الحريم والحجاب ١١—

هل سمعتم عن الكبراء هناك يتخذون الصبية عشاقا ١٢. هل سمعتم عن النساء هناك وكيف يتخذن من الجاريات السود والخاديات والصدقات منافذ للشهوات المنحرفة والغرائز الملتوية ١٣

هل سمعتم عن رجل كبير جاءه الشرطة بإبنه وابن أخيه مضبوطين في في جريمة شذوذ جنسى ، فما أن علم بذلك حتى هب واقفا وقال :
« إبردى ... حسبتهم طابعين بالثمن » .

— أى الحمد لله حسبتهما يشربان الدخان ١١. أى أن تدخين الدخان في هذه المجتمعات الانفصالية أعظم جرما وأشد وزرا من اللواط والسحاق ١(١) .

هل سمعتم عن شباب أطهار كونوا جمعية غرضها الأول مكافحة الشذوذ الجنسي فى بلادهم واتخذوا لهم ناديا عام ١٩٥٠ ولكن كبار

(١) أنظر هذا أو الطوفان — لخالد محمد خالد .

رجال الدين هناك حاربوا الجماعة واستصدروا من الحكومة أمراً
بإغلاق النادي ١

إن نسبة الشذوذ الجنسي هناك — كما ذكرها الأستاذ خالد محمد خالد
في كتاب هذا أو الطوفان — ٨٥٪ بين الرجال و ٦٥٪ بين النساء !!
وفي سنة ١٩٤٦ زار مهندس كبير إحدى هذه البلاد ويحدثنا عنها
فيقول أنه تعرف برجل هناك ، قامت بينهما صداقة . وذات يوم رأى
صديقاً وسياً يسير مع الرجل فظن أنه ابنه وقبلة مجاملة . ولكن صاحب
الصبي ثار وسبه — أى المهندس — بألفاظ بذيئة ، وسمعه الناس فجاءوا
واعتدوا على المهندس بالضرب والركل . وكان المسكين يصبح فيهم أنه لم
يفعل شيئاً يستحق عليه هذا الأذى ... ولقد أدرك أخيراً لماذا اعتدى
عليه ... ذلك الصبي الوسيم عشيق الرجل وهذا معروف عند الناس ،
فلا يحق لأحد أن يغالزه . . . أما إذا أراد صديقاً يرتكب فيه جريمة
الشذوذ فعليه أن يبحث لنفسه بنفسه أو يكلف أحداً بالبحث نظير مبلغ
يتفق عليه .

وهناك سماسة يتخصصون بإحضار الصبية إلى الرجال أو إحضار
البنات إلى النساء !! والآتعب تقدر حسب جمال الصبي أو جمال البنت !!
وإن أكبر الكبائر عندهم أن يغالز رجل صديقاً معروف أنه مخصص
لفلان أو تغالز امرأة فتاة معروفة أنها عشيقة لإمرأة أخرى !! .. هذه
جريمة يستحق مرتكبها الإعدام !!

هذه هي صورة مصغرة للمجتمعات التي تفصل بين الجنسين حفظا
للشرف ! وحفظا للأخلاق ! وصيانة للفضائل ! . أجل حفظا للشرف
وحفظا للأخلاق وصيانة للفضائل .

فما أعظم وما أروع مقاييس الأخلاق والفضائل في تلك المجتمعات
ودعونا نسميها مجتمعات من باب الفكاهة والشفقة !!!

سفور المرأة نكبة واثارة للفستنة ، ولكن سحاقها ليس نكبة بل
هو فضيلة وأخلاق !!

واختلاط النساء والرجال في المجتمع اباحية وفجور ، أما انتشار
الشدوذات الجنسية من الانفصال والكبت فليس بعيب ولا باباحية بل
هو الشرف وهو كل فضائل !!

ألا أن هذه مقاييس للأخلاق والفضائل لم يستطع الأولون أن
يهتدوا اليها ولن يهتدى اليها الآخرون ، ولكن يكفي فخرا هذه المجتمعات
الانفصالية أن تهتدى اليها وتصنع منها تقاليدا ، تصدرها إلى الخارج
باسم التقاليد الشرقية !!

فلماذا ؟ . . . لماذا نحول مجتمعا إلى اختلاط تام ونقلد بذلك
الدول الهمجية التي تسود فيها الخراقات والخزعبلات والتي مازالت
تعيش بعقلية القرون الوسطى كالولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وإيطاليا
وألمانيا والسويد والنرويج وبريطانيا . الخ ولا نبقي على الانفصال تقليدا

للدول التي بلغت أوج الحضاره والمدنية كالين والمملكة السعودية
ومحميات الخليج الفارسي ١١١٩

السكبت هو الاب الشرعى للانحرافات الجنسية :-

نستطيع - إذن - أن نخرج بحقيقة واضحة هي أن الانفصال عاجز
عن حماية الأخلاق والفضائل ، فكما هو عاجز عن منع الخطايا الجنسية
يورث أيضا الشذوذ الجنسي وكافة الانحرافات الجنسية ١١

ولكن كيف تنشأ الانحرافات الجنسية في مجتمع الانفصال ؟

المعروف أن مثل هذا المجتمع يعتبر المرأة دائما اعتبارا بدائيا . فما
أن تذكر المرأة أمام الرجل في مجتمع كهذا حتى تركبها فكرة الجنسي
ويتصور أمامه انهيارا خلقيا .. تجد هذا واضحا في حجج المعارضين لحقوق
المرأة ، إذا أنها تستند على الخوف من الفتنة ١١١ هذا الاعتبار البدائي
للمرأة يقوم على أساس ما لها من صفات جسمية ، لا على ما لها من
صفات ومزايا انسانية باعتبارها إنسان مكمل لانسان آخر هو الرجل
هذا الاعتبار تعدى إلى حياتنا الخاصة فأفسدها حتى لقد أصبحنا نتزوج
لنتمتع بالمرأة مقابل نفقه .. المتعة هي كل شيء في حياتنا الزوجية وبجانبتها
الطاعة ، ومن أجل ذلك سمحنا للرجل أن يتزوج من أربعة مخططات
أو يسرى بهن ١١١

وكل هذا العيث ناتج من النظرة الجنسية البدائية التي اشتهر بها المجتمع
الانفصالي المنكوب . . . المجتمع الذي يعتبر نصفه البترول الذي يشعل
في رجاله الثورة الجنسية ١٩١

هذه النظرة الجنسية تسبب للمجتمع كثيراً من الصداق ؛ ونجعله
يعيش دائماً في ذعر من الخطيئة الجنسية التي سترتكبها المرأة حتى في
عرف هذا المجتمع إذا ما اختلطت بالرجال وعملت معهم للدولة
ووسيلة المجتمع في ابعاد هذا الذعر أن يفصل الجنسين ويضرب
بينهما أسواراً ليست بذى باب من التقاليد التي يسمونها التقاليد الشرقية
بيد أن هذا الانفصال يورث شر أنواع الخطيئة والموبقات
ألا وهو الكبت . فكافة الرذيلة بالكبت يساوى تماماً مكافحة
الحريق بالبنزين .

ولقد عرف كثيراً من علماء النفس والاجتماع في مصر وفي
أوروبا بخطورة الكبت في الإنسان . . . كالدكتور عباس عمار
وزير الشؤون الاجتماعية إذ يقول في جريدة المصري بتاريخ ٢٩ / ١٢
سنة ١٩٥٣ :

« أنا معترف باخطار الكبت الجنسي ؛ ومسلم بأن لها نتائج خطيرة
في حياتنا الخلقية والاجتماعية ، ومشاكلنا النفسية والجنسية ،
أجل ، إن الكبت في الانسان لمن أخطر الامور وهو يؤدي إلى

نتائج خطيرة تكفي وحدها لأن تدفع المجتمع إلى الهاوية . . أما هذه النتائج الخطيرة فتتلخص في :

أولاً : إما أن تشور الغريزة الجنسية ثورة جامحة وتنطلق كالعاصفه عظمه أمامها كل السدود والحواجز وينتهى الأمر بشيوع الاباحية الجنسية وقد ذكرنا لذلك أمثله من التاريخ . . أجل أن المكبت الجنسي كالمكبت السياسى تماما . فكما إن الثانى يولد الثورة السياسية كذلك أمور الأول يولد الثورة الجنسية .

وإذا ما ظلت الغريزة الجنسية تعتمل فى نفس الشخص وتلمح عليه بشدة ، انتهى به الأمر إلى انهيار عصبي يولد منه اضطراب عام فى أخلاق الشخص وأحواله العامة .

ولعل فرويد كان يتجه إلى هذه الحقيقة حين قال أن الرغبات النفسية المكبوتة هى أساس السلوك عند الانسان فى جميع النواحي وأن الغريزه الجنسية تحتل المكان الأول من بين الرغبات الأولى وأنها تخمد بالظروف الاجتماعية والتقاليد والتربية وفى أحوال كثيرة تؤدى إلى اضطرابات عصبية وانهيار نفسى ، (١)

وفد يقول قائل أن علاج هذا هو التدين ! فأقول أن التدين ليس

(١) أنظر كتاب علم النفس — للاستاذ الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى .

بعلاج بل لأنه في هذه الحالة يصبح مساعد آخر للانهار العصبى . . . ويغزو
ستارا يحفى مرضاه عصيا !! فلا يغرننا إستغراق شاب أو فتاة في التدخين
فهما في الواقع ضحايا من ضحايا السكبت وتدينهما هذا تعبير صارخ
عن آلام نفسيه حيلسه .

وإذا أردتم الدليل فانظروا إلى ابن الفارض . . . كان رجلا بلغ
في تدينه الذروة وانقطع إلى عباده الله وجرّد حياته كلها من مطالب
الجنسى حتى عد من الأبرار الاتقياء . ولكن الحاح الغريزة الجنسية
وثورة السكبت فيه ، أدت إلى انهيار أعصابه ، ففسى العبادة ونسى التدخين
وانطلق يتغزل في الخمر ، والحن ، والبراقع . وهو دج ليل . والعشق
واللذة ، والتهتك ، واهتزاز النهود ، والتلاقى عشية وراء الحيام (١)

كل ذلك في أبيات من الشعر تدل على أن تدينه لم يحل يفسه وبين
انهيار أعصابه من السكبت والاحاح الغريزه . . . أما هذه الابيات فمنها (٢)

سكرت بخمر الحب في حان حبها
وفي خمرة للعاشقين منافع .
تجاف جنوبى في الهوى عن مضاجعى
ولما جففتى في هواها المضاجع

(١) أنظر هذا ٠٠ أو الطوفان - خالد محمد خالد

(٢) أنظر الكتاب السابق

مضيت بركب الحسن بين محامل
وهودج ليلي نورها منه ساطع .
وناديت لما تبدي جمالها
لعمرك يا جمال قلبي قاطع
فل بي اليها يادليل فائتي
ذليل لها في تيه عشقي واقع .
لعل من ليلي أفوز بنظرة
لها في فؤاد المستهام مواقع .
والتلذذ فيها بالحديث ويشتفي
غليل غليل في هواها ينازع .
وهو القائل أيضا .

أصلي فأشدو حين أتلوا بذكرها
واطرب في المحراب وهي أمامي .
تثنت فخلنا كل عطف تهزه
كشيبة مسك تحت بدر تمام .
ولما تلاقينا عشاء وضمننا
سواء سبيل دارها وخيامي .
وملت كذا شيئا عن الحى حيث لا

رقيب ولا واش بزور كلام .
فرشت لها خدى وطاء على الثرى
فقلت لك البشرى بلثم لثامى .
وبننا كما شاء اقتراحى على المنى
أرى الملك ملكى والزمان غلامى .

إن هذا السيل الجارف من التعبيرات الجنسية المثيرة في شعر هذا الرجل الذى بلغ في تقواه الذروه ، لخير رد على القائمين بمعالجة السكبت بالتدين والا لكان أول أن يمنع تدين هذا الرجل . هذا الشعر المثير الذى هو دليل واضح على ما فى نفسه من كبت وثورة .

ثانيا : من المحتمل جدا أن تتحول الغريزة الجنسية - عندما تنثور إلى طريق غير طبيعى ، أى إلى الشذوذ الجنسى ، وهى لا تتحول إليه الا عندما يجد صاحبها نفسه فى عزلة عن الجنس الاخر بمقتضى تقاليد المجتمع وتزمته فى فصل الجنسين .

ذلك أنه كما قال (فرويد) أن الغريزة الجنسية تحتمل المكان الأول من بين الرغبات الأولى وأنها تخمد بالظروف الاجتماعية والتقاليد والتربية وعندما تحاول أن تجد لها منفذا تتسرب منه . ولا يكون هذا المنفذ إلا الجنس المماثل .

ويكن الخطر من الشذوذ الجنسى فى مرحلة دقيقة من مراحل نمو

الشخص ، وهى غالبا مرحلة المراهقة حيث تكون الغريزة الجنسية فى طريقها إلى النمو والاكتمال . . . فى هذه المرحلة على وجه الخصوص إذا كبتت الغريزة بالانفصال ، حفرت لها منفذا آخر هذا المنفذ هو الشذوذ . ثم يثقل هذا الشذوذ مع صاحبه كلما انتقل من مرحلة إلى أخرى من مراحل نموه . وفى كل خطوة من خطواته يتمكن منه حتى يصبح عاهة يصعب جدا التخلص منها ، فإذا وجدنا رجلا أو امرأة نكتب بهذه العاهة فلنرجع إلى الماضى حيث مرحلة المراهقة لنجد انحرافه قد ابتدأ منذ ذلك الوقت .

لذلك من السهل جداً معالجة فتى فى سن المراهقة وقمع فى الشذوذ وكذلك معالجة الشاب . ولكن الأمر يصعب جداً مع رجل بلغ الأربعين من عمره مثلاً مصاباً بالشذوذ . ذلك أنه عند الفتى أو الشاب لم تصبح عاهة ولكن عند الكهل أصبحت عاهة .

أعرف - منذ ثلاث سنوات - شاباً تخرج من كلية الزراعة ، أصيب بالشذوذ .

وحيث أمضى عشرين سنة فى مدينة المنيا لا يختلط بامرأة أو فتاة . عالج نفسه وتطهر من هذه الوصمة التى سببت له اضطراباً نفسياً ، بالتحرف على فتاة تعمل فى إحدى المحلات التجارية . وكان يذهب فى أيام الأحد والثلاثاء والخميس إلى مدرسة روبر للرقص فى ميدان سليمان باشا حيث

يتمرن ساعة أو ساعتين على الرقص مع الفتيات .. إعتدلت غريزة هذا الشاب بعد ذلك وصار لا يأنف من الاختلاط كما كان في الماضي ، بل لاتفوته مناسبة كمناسبة (الكريسماس) أو (عيد رأس السنة) إلا ويدعو صديقاته وأصدقائه إلى حفلة ساهرة يقيمها بمنزله ويرقصون جميعا .

كيف كان هذا الشاب يستطيع معالجة شذوذه لو لم يحتاط ؟ بالمواظظ
الدينية ؟ .. أم بالتدين ١٩

إن الغريزة الجنسية كغريزة الجوع ... فأنت إذا منعت شخصا عن الطعام حتى كاد أن يموت جوعا ، فسوف يظل يبحث عن الطعام مدفوعا بمجموعه وسوف يلتمهم ما يجده أمامه إلتهاما ولو كان من أقدر أنواع الطعام .
تلمس هذا في الأطفال العرايا البؤساء الذين يندفعون — بجوعهم — نحو صناديق القمامة يبحثون فيها عن قاذورات يلتمسونها إلتهاما .. كذلك الجوع الجنسي يدفع صاحبه إلى أن يبحث له عن منفذ يشبع منه ولو كان هذا المنفذ يؤدي إلى الشذوذ ! .

وقد يقول قائل : لقد كان لا يسمح للمرأة قديما بأن تطل برأسها من فوافذ الجدران !! فلماذا لم يصابوا بالشذوذ .

وردى عليه . أن الشباب في الماضي كان يتزوج سريعا ويندر من كان يتأخر إلى ما بعد الخامسة والعشرين ، وكانت الفتاة تزف إلى بيت زوجها بمجرد أن يأتيها الحيض . فلم يكن هناك شذوذ لهذا السبب ... وأن كان

البعض ممن تجاوزوا سن الخمسين يؤكدون لنا بوجود الشذوذ وقتئذ .
وسواء كان موجوداً أم لم يكن . فالحقيقة التي لا نستطيع أن نتعاض عنها
أن شبابنا الآن لم يعد في قدرته الزواج مبكراً لأسباب إقتصادية بحته
وفي سن المراهقة بالذات .. ولا يوجد فتاة في الوقت الحاضر تتزوج في
هذا السن . فالحياة الزوجية لم تعد لعبه يلعب بها زوجان كل منهما في
سن المراهقة !!

إذن ماذا يفعل الشباب والفتيات ؟

أندعوهم إلى الزنا ؟ أم نتركهم فريسة للشذوذ الجنسي ؟ لا هذا
ولا ذاك ، فعلاج السكبت بالزنا كعلاج الجوع بالطعام السام . وكذلك
المجتمع الذي تنتشر فيه الشذوذات الجنسية مجتمع فاسد منهار .

إذن العلاج الذي نقترحه هو : —

١ — الاختلاط

٢ — الرياضة والهوايات الأخرى

٣ — الثقافة الجنسية

٤ — العمل وقت الفراغ

١ — الاختلاط : —

هو العلاج الأول للسكبت ولجميع الانحرافات الجنسية .. فمن حيث

الشذوذ الجنسي يفقد مقومات بقائه في ظل الاختلاط اللهم إلا إذا كان الشخص مصابا بعاهة طبيعية كما وضعنا سابقا وعجز الطب عن علاجه ... أجل الاختلاط هو المطهر النفاث الذي يطهر المجتمع من الشذوذ لأنه يعود الشاب الاتجاه نحو الفتاة فقط ، فهو يقود غريزته الجنسية نحو هدفها الطبيعي . وكذلك الشأن في الفتاة .

ولنا في ذلك أدلة من الواقع المشاهد .. فالشذوذ في مصر أقل منه كثيرا في بلاد مجاورة عريقة في الانفصالية حيث تبلغ نسبة الشذوذ ٨٥٪ بين الرجال و ٦٥٪ بين النساء .

وفي مصر نفسها نجد الشذوذ ينعدم في الريف ، بينما يعيش في المدن وخصوصا المدن التي نالت خطأ وفيرا من الانفصال والتقاليد .. وذلك لأن القرى ينشأ أهلها على الاختلاط الطبيعي بين الجنسين منذ الصغر بعكس المدن التي مازالت تحيا في بلبلة جنسية وذعر دائم من الخطايا الجنسية .

وأن إنعدام الشذوذ الجنسي في الريف خير رد على الذين لا يعترفون بأن الاختلاط مطهر للمجتمع من جرائم الشذوذ .. وإلا فليخبرونا لماذا لانجد شذوذات في الريف بينما نجدها في المدن ١٩

أما من ناحية الاباحية الجنسية بين الجنسين فالاختلاط المذهب الذي يقوم على أساس الصداقة والتعاون والأخلاق كفيل بأن يحصن المجتمع ضد هذه الاباحية .

والوقد يسألنا القارىء: ألن تحدث جرائم جنسية أيضا؟ فأجيبه ،
نعم . فليس هنالك مجتمع بخلي من الشرور ، ولكن ستكون هذه الجرائم
الجنسية قليلة لا تسبب القلق على الأخلاق العامة . وفي الريف أيضا
تحدث خطايا جنسية ولكنها من القلة بحيث لا تسبب الذعر على الأخلاق
العامة للقريه .

ولم أسأل بدورى الخصوم الأخلاقاء الذين يسيرون كالنعمتج
ألم تحدث — وما زالت تحدث — جرائم جنسية مشيرة وبكثرة كما
مرعبة بين الجنسين في مجتمعنا الانفصالي ١٩

هل تذكرون أن عندنا ألاف من الاطفال غير الشرعيين ١٩
إذا أنتم أنكرتم فتفضلوا بزيارة ملاجى القطار ، ولو أننا كنا نهم
بعمل احصاءات دقيقة لافضح الكثرة المريعة فى عدد الاطفال غير
الشرعيين ... وإذا اعترقم ، عندنا أسألكم : كيف جاء هؤلاء الاطفال
من سفاح ونحن نعيش فى مجتمع ضرب أسوار التعزلة بين الجنسين ؟

لأنهم اعترفوا إذن أن الخطايا الجنسية تزدهر أيضا وبكثرة فى أشد البلاد
تمسكا ببقاياها لانفصالي ، وحسبكم أن تقرموا عن الحوادث التى تنشرها
الصحف . فهنا قتل أمه لأنه لاحظ اعوجاجا فى سيرها ... وهذا فحج
شقيقة لأنها حملت سفاحا .. وذاك قتل ابنته لأنها لم تكن حسنة السير
والسلوك .. وأين تحدث هذه المأسا فى أشد البلاد تمسكا بالانفصالية
فى مدن تعتبر أن الشرف كل الشرف فى سجن المرأة فى أظلم بقعة فى دارها .

إذن لانفكروا تفكيراً سطحياً ساذجاً ولا تقولوا أن الانفصال يحمى الأخلاق ويحافظ على الفضائل . فها قد رأيتم أن ماتخشون حدوثه في ظل الاختلاط واقع فعلاً في ظل الانفصال ، وإن كان مستترا تحت ستار النوافذ وجدران المنازل .

ويجتمعنا الآن يسير نحو الاختلاط ، وهو إن كان حتى الآن إنفصالياً إلا أنه سيتحول إلى اختلاط تام إن عاجلاً أو آجلاً رضى الرجعيون أم كرهوا . فليس من الحكمة إذن أن نتجاهل الأمر الواقع ونندس رموسنا في الرمال لكي نتعامى عنه . وإنما الحكمة هي أن نقيم للأمر الواقع وزناً ونسرع بمسك الزمام جيداً قبل أن يفلت منا وتكون العاقبة وخيمة ، ولنبدأ في تنظيم الاختلاط بدل أن نحاربه ونفشل ونجعل منه فناً ومنهاجاً وفلسفة وكل ما يكون جميلاً لو تولى تنظيمه ورسمه خبراء في التربية والاجتماع من الرجال والسيدات ..

وفي رأي أن خير أنواع الاختلاط هو الذي يزامل الجنسين منذ الصغر ويتنقل معهما إلى كل مرحلة من مراحل الحياة كما هو الحال في الريف مثل هذا الاختلاط يولد الصداقة والتعاون والحب الشريف فالولد الصغير عندما يذنباً وبين أترابة فتيات صغيرات يستطيع أن يتعود عندما يصل إلى مرحلة الشباب على أن المرأة ليست متعة محرمة وإنما هي إنسانة كاملة كأحد أصدقائه وفي هذا الجو النظيف

يستطيع أن يوجه غريزته إلى عاطفة كريمة محترمة تربطه بإحدى الفتيات
لتنتهى بهما إلى الزواج ..

هذه العاطفة هي عاطفة الحب : ولن نستطيع أن نبني مجتمعنا الا
إذا احترمنا الحب واعترفنا به وأفسحنا له المجال في بيوتنا وتحت رعاية
آبائنا وأمهاتنا (١) ..

وطبقا لهذا يجب اباحة الاختلاط — أيضا — في جميع مراحل
الدراسة ..

ولخصوص الاختلاط اعتراضات ثلاثة ليس فيها اعتراض واحد
جدي . ويجدر بنا أن نستعرض هذه الاعتراضات ونناقشها
أولا . يقولون أن الجمع بينهما قد يؤدي الى مالاتحمد عقباه من
الوقوع في شرك الحب والاختلاط الجنسي الذي قد يؤدي الى نتائج
وخيمة خصوصا في فترة المراهقة .

وهذا الاعتراض مردود فأراء معظم علماء النفس وعلماء التربية
والاجتماع تتفق على أن المدارس التي يختلط فيها الجنسين يكون الخطر
فيها أقل — بكثير — مما هو متوقع (٢) لأنهما يتهودان رؤية بعضهما

(١) الاستاذ احسان عبد القدوس في مقال له عن السكت الجنسي بمجريدة المصرى

(٢) انظر كتاب نفسية المراهق وتربيته — الاستاذ الدكتور رياض عسكر

فلا يكون لأحد الجنسيتين تأثر غير بغير على الجنس الآخر، خصوصاً إذا كان الجنسان قد اختلطا قبل ذلك منذ طفولتهما. ذلك التأثير الواضح الذي زاه في الأوساط التي لم تتعود الاختلاط، عندما تختلط لأول مرة. لأن الانفصال دائماً يثير الرغبة في الاستطلاع أو كما يقول المثل المشهور: «كل شئ غريب».

يقول الأستاذ الدكتور رياض محمد عسكر في كتابه نفسية المراهق وتربيته في ص ١٩٢ ما يأتي:

« وإن خبرتنا الخاصة بالجامعات الأوروبية لتؤيد تلك الحقيقة — أي الحقيقة التي ذكرناها سابقاً — فمعه تعذيبها مدرّس من نوعين، بعضها يختلط فيه الجنسان، والبعض الآخر خاص بجنس واحد. حتى إذا أتى الصنفان إلى الجامعة، اختلطا طبعاً من غير تمييز. فلا حظنا، كما لاحظ غيرنا، أن الفتيان والفتيات الذين أتوا من مدارس مختلطة، لا يكونون أكثر رزاة واعتدالاً في سلوكهم مع الجنس الآخر، بل قد

يكتفي الواحد منهم من بين الجمع الحاشد من الطلبة والطالبات، بصديق أو صديقين من الجنس الآخر، ومن يهكون الصداقة قد بدأت معهم في المدارس الثانوية. أما الذين أتوا من مدارس من جنس واحد، فيشاهد إقبالهم الشديد على الجنس الآخر، والتعرف بأفراد كثيرين على الأخص

في أول عهدهم بالجامعة. وقد ينهمك بعضهم في تلك الناحية بدرجة تعذر معها استمرارهم في الدراسة. وهذا ما يحدث فعلاً في بعض الحالات.

ويقول الدكتور أيضا في ص ١٩٢ : « قد أقمنا في القاهرة اجتماعا في ١٩٢٠ »

ويميل كثير من الأطباء الذين مارسوا علاج الاضطرابات العصبية والشذوذ الخلقى ، وكذلك الكشيريون من علماء الاجتماع إلى تعضيد الجمع بين الجنسين واعطائهم فرصة للتعارف فيقول أحدهم في هذا الصدد : إن من حق الفتيان والفتيات أن يتعلموا جنباً إلى جنب . فإن الفتيان إذا نشأوا لا يعرفون سوى الفتيان ، والفتيات لا يعرفن سوى الفتيات . كان من الصعب تربية كل منهما تربية خلقية سليمة من الشوائب ، ولعلنا هنا يشير إلى الشذوذ الجنسي الذى ينشأ من الانفصال .

ويقول آخر : « هناك كثير من الجدل حول الجمع بين الجنسين فى التعليم ، لكن من حسن حظ الحياة العائلية ، أن الغالبية متجهة الآن نحن الجمع بينهما . فالرغبة الجنسية شئ طبيعي عاды فى دور المراهقة فلا الجمع بينهما ينشئها من العدم ، ولا الفصل يميئها ويمحوها من الوجود فهى تظهر لأنها من خواص ذلك الدور »

وليس لدى الهيئة الاجتماعية لعلاجها طريقة أفضل من إيجاد الفرص للتعارف بينهما فى ظروف طبيعية لا يحفظها الشك ألا وهى البيئة المدرسية . فالمدرسة التى تجمع بينهما بيئة طبيعية . أما التى تفصل بينهما فليست طبيعية . وبصفة خاصة ، تلتئم معهما كما ينبغي . تلتئم معهما . ولعل المقارنة بين الجامعة الأمريكية بالقاهرة والجامعات المصرية الثلاث ، يهدم الاعتراض المذكور الذى يواجهنا به الرجعيون .

ففي الجامعة الأمريكية أدى الاختلاط إلى وجود التعاون المطلق ،
والزمالة الصحيحة والاتزان الكامل بين الطلبة والطالبات - حيث
لا نسمع عن حوادث أخلاقية أو إشاعات على الطالبات أو ما أشبهه ..
وهذه هي الروح الجامعية المثلى ، يمثلها الجنسان .

بينما لا نجد التعاون المنشود ولا الصداقة البريئة ولا الزمالة الحقة بين
الطلبة والطالبات في الجامعات المصرية . نجد إشاعات كاذبة مفرضة
أو حوادث أخلاقية ظاهرة أو مستترة ، وانعدام الروح الجامعية هو
الأساس في الجامعات الثلاثة . ما السبب في هذا الاختلاف الظاهر ؟

السبب واضح كل الوضوح إن لم نغمض أعيننا أمام الحقيقة ! ...
السبب أن طلاب وطالبات الجامعة الأمريكية نشأوا في بيئات اختلاطية ،
واختلطوا في مراحل الدراسة السابقة ، فهدبهم الاختلاط وعلمهم
التعاون والاحترام ، فلما اختلطوا كان هذا أمر أعاديا طبيعياً بالنسبة لهم .
أما طلاب وطالبات الجامعات المصرية فعلى العكس ، نشأوا في
بيئات انفصالية ، وتعلموا في مدارس انفصالية ، فلما اختلطوا ، لم يفهموا
الاختلاط ، فأسأوا إليه ... انطلقوا دفعة واحدة نحو حياة جديدة لم
يفهموها ، ووجدوا أمامهم بعد عشرين سنة قضاؤها لا يختلطون
بالفتيات . أقول وجدوا لأول مرة معهم فتيات ، فأنجبه تفكيرهم واتجهت
حواسهم كلها إلى هذا الذي حرموا منه ثم وجدوه فجأة أمامهم .. هؤلاء
يشبهون شخصاً ظل مدة طويلة في مكان دافئ لا يتسرب إليه الهواء

نخرج فجأة إلى الشارع فأصابه البرد والزكام .. ولكن لو أنه قبل أن يخرج إلى الشارع - فتح زجاج النافذة واستنشق كمية أكبر من الهواء وهكذا حتى يخرج إلى الشارع ، ما أصابه البرد والزكام .

من أجل هذا كان الاختلاط واجباً في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الجامعات .

ثانياً : يسوق الرجعيون اعتراضهم الثاني ويتلخص في أن اجتماع الشبان والشابات في المدارس قد يشغلهم عن دروسهم وعلى الأخص من يقع منهم في الحب فنكون بذلك قد أوجدنا للفتى وللفتاة شاعلاً ما كان أغنانا عنه ، في وقت هما أحق ما يكونان فيه بتوجيه عنايتهما واهتمامهما نحو دروسهما وصحتهما .

والرد على هذا الاعتراض أن الاختلاط ان يشغلهم عن دروسهما . بل هو الانفصال الذي يشغلهم عن دروسهما بل عن حياتهما أيضاً .

فقد ثبت أن الانفصال يورث السكبت ، وكما قلنا أنه يولد اضطراباً خطيراً في نفوس شباننا وفتياتنا ... بينها الدكتور محمد فتحي أستاذ علم النفس الجنائي بجامعة القاهرة وهي :

١ — قلقاً عصبياً ينتاب نفس الشاب أو الفتاة من حين لآخر .

٢ — أرقاً أثناء النوم .

٣ — ضعيفاً في الشهية .

ن أن أرى من شعور لا يخاف ولا يهمل ، مما يباله في لشا بالية ألف و
 ما له من سرعة في خضوبات القلب لنا ولجن رقة في لشا بالية ألف و
 ٦ — ضيقا في الصدر مما يباله أله ، في لشا بالية ألف و

تي في الغيرة إختلاف في الخبيرة أبله له كذا لا نلا انه راجع أن

٨ — خوفا من المرض أو الكوارث .

ولم نستطيع أن نضيف أثر آخر من آثار التكيف الخطيرة ، هو
 العادة السرية التي يبال إليها تسعين في المائة من شبابنا وفتياتنا وين يقول
 كما ماء حياتهم ويهدمون بها صحتهم وحيويتهم . بسط أله هذه حق نه
 ألمة لنا ليس كل هذا — يا حضرات الرجعيين — هو الذي يشغل الفتيان
 والفتيات عن دروسهم ، ويصرف كمية كبيرة من نشاطهم وحيويتهم إلى
 مسائل جنسية كان الأجدي أن توجه إلى دروسهم والعناية بصحتهم .

فإذا عرفنا أن هذه الأضرار الخطيرة تنتاب شبابنا وفتياتنا ابتداء
 لمن حسن المراقبة وتستمر معهم حتى يتزوجون ، وهي فترة لا تقل —
 بأعزاف علماء النفس — إلا اجتماع — ثلث خمسة عشر عاما ، يمكننا أن
 ندرك خسارة المجتمع من جراء إفضال الجيلين في مراحل الدراسة .

فالمجتمع الذي يعيش شباباه وفتياتاه أنهن سنوات عمرهم فريسة
 القلق والأرق وضعف الشهية وضيق النفس والمخاوف العصبية وانحراف
 غرائزهم نحو الشذوذ الجنسي والخلق والعادة السرية ، نضع عليه بغير شك

طاقته إنتاجية هائلة كان من الممكن أن يستفيد منها لو تحرر أصحابها من هذه المتاعب.

فالسوق بمقولة صغيرة تحول من الحيض المتأخر إلى الشجدة كوكيتيلا وانعما من
العبارة الجسمية المقيمة على الجدران كالشمس في وكلها تدل على ثورات
نفسية تشب في نفوس هؤلاء المساكين . بل أن بعض هذه العبارات
تدل دلالة أكيدة على أن الشذوذ الجنسي له إمكانات فردا موقعا عند طلابنا
وطالباتنا : ان : نعتة مثلا هو غير ذلك الثالث خاتمة الا : اشارة

ثم قم بجولة أخرى حول مدارس البنات لتري كم من الطلبة دفعهم
الكبت إلى الهروب من مدارسهم وذهبوا كالدئاب الجامعة يتعلمون في
رؤية القتات عند خروجهن ودخولهن وسيلة لتصرف هذا الكبت
القاتل ، واطقاء ثورة الحرمان المدمرة .. ولعل بوليس الآداب قد أدركه
التعب من مطاردتهم !!

ت هذه حقائق نهديها إلى من يقولون أن الاختلاط الجنسيين يصرفهما
عن دروسهما. أجل... إن الاختلاط في المدارس يصرف هذا الكبت
ويرد سكينته النفس وسكينته العقل، ويحرر شبابنا وقتيلنا من آلامهم
النفسية والعصبية، فيستطيعون إذن أن يقبلوا على دروسهم بهمة ونشاط.
وهو فوق ذلك، وسنكرر هنا ونعيد، صارفا للشذوذ، ولظواهره
التي انشرت في مدارس البنات والفتيان:

اسمعوا الدكتور رياض محمد عسكر يقول في كتابه نفسية المراهق
ص ١٦١، ١٦٢ .

« هناك ظاهرة كثيرة الانتشار في المدارس التي لا يجتمع فيها الجنسان
وهي حب غير محدد ، يتجه نحو فرد من أفراد نفس الجنس . وقد يصل الأمر
إلى الغيرة على ذلك الشخص . والخوف عليه من الاتصال بأي شخص » .

وهذا هو الشذوذ الجنسي الذي نحذر منه !!

ثالثاً : الاعتراض الثالث الذي يوجهه المتزمتون : أن قوى الجنسين
العقلية ليست متساوية ، ولهذا لا يجوز الجمع بينهما في فصل واحد
وتعليمهما بطريقة واحدة .

هذا الاعتراض كذبه الواقع ، فنتائج الامتحانات في الجامعات
والمدارس تثبت بالبرهان الأكيد عدم وجود تفاوت في عقلية الطلبة
والطالبات .

وإذا هم رفضوا تصديق الواقع المشاهد ، فليسالوا إذن وزارة
المعارف لماذا ألغت السنة السادسة الدراسية من مدارس البنات مساوت
بينها وبين مدارس البنين في عدد السنين الدراسية ... وإذا هم لم يسألوا ،
فلينظروا إلى الحقائق السيكولوجية .

يقول الدكتور (سيرل بيرت) تلخيصاً لنتائج أبحاثه ما يأتي :

« إن الفروق بين الجنسين من حيث الذكاء طفيفه جداً أثناء سني
الدراسة ، ولم يظهر البحث حتى الآن أية فروق بينهما في المدارس التي
يحتلطان فيها في حجرة الدراسة ، يعلمها معلم واحد تبعاً لمنهج واحد) .

وقد قام (ترمان) بأبحاث - في هذا الصدد - بالولايات المتحدة - فوجد أن البنات بوجه عام تتفوق قليلا من حيث الذكاء على الصبيان فيما بين سنى الخامسة والثالثة عشرة ، غير أن هذا الفرق كان قليلا لدرجة تبيح اهماله في الأمور العملية .

وخرج ترمان من أبحاثه بنتيجة ، وهى أن متوسط ذكاء النساء والفتيات يعادل في المتوسط ذكاء الرجال والصبيان .

ونكتطف هنا شيئا من تقرير اللجنة الاستشارية لوزارة المعارف [الانجليزية التى طلب منها سنة ١٩٢٠ أن تضع تقريراً عن موضوع التفرقة بين الجنسين ، من حيث البرامج فى المدارس الثانوية فقالت :

(لم نستطع بعد البحث أن نجد فروقا بين الجنسين ، يعتمد عليها فى بناء سياسة تعليمية خاصة . نعم صادفنا أقوالا ساذجة عامة ، يشتم منها وجود تفرقة بين الجنسين ، ولكننا لم نقتنع بشيء منها . وقد أكد لنا الشهود الذين استشرناهم فى الأمر ، أن الصبي يختلف عن الصبي ، والبنات تختلف عن البنات ، أكثر من اختلاف الصبيان فى مجموعهم عن البنات فى مجموعهن وكلما أيد شاهد تنوع الصبيان فى ناحية من النواحي عادله شاهد آخر بتفوق البنات فى تلك الناحية أيضا ، وليس من السهل أن يمتنع المرء عن التحيز لأحد الجنسين) (١) .

رابعا : الاعتراض الرابع الذى طامسا لجأ إليه خصوم الاختلاط
مستمد من التمايل !!

(١) راجع كتاب نفسية المراهق وتربيته — للدكتور رياض عسكر .

وليس لشارد عليهم هنا ، أكثر من قولنا أن هذه الأمة لن تتقدم
من الناحية الاجتماعية طالما هي تبتسك بتلك التقاليد التي لم يعد يعترف
بها التطور فعلى هؤلاء أن يصححوا معهم تقاليدهم تلك ، كلها هموا بالذهاب
إلى المراحض ليتبولوا عليها .

٢ - الرياضة :-

تأتي الرياضة في المقام الثاني لمعالجة السكبت وتهذيب الغرائز الجنسية ،
وقيادة العواطف في مخرج ورؤية ، وبث الزمالة الصحيحة والصداقة
الإنسانية بين الجنسين .

ونحن نلحس هذا في الشبان والفتيات الذين يمارسون مختلف أنواع
الرياضة في النوادي الرياضية :

ونحن حين ندعو شباننا إلى الرياضة ، ندعو أيضا فتياتنا إلى فك
أغلال التقاليد والانطلاق إلى النوادي مع الشباب ليقضى الجميع أوقات
الفراغ فيما يفيد أجسامهم وصحتهم .

و حين أقول الرياضة لأعني الرياضة الجسمية فقط ، بل أيضا الرياضة
النفطية والعقلية ، وهذه تتوفر في نوادي خاصة يقصد إليها الإنسان
يملأون أوقات فراغهم في الهواية المفيدة كالقراءة أو الموسيقى ، ويعرفون
بعضهم . وللأسف أن مثل هذه النوادي تندر متوافرة في مصر !

وإلى أن توجد ، يمكننا إقامة حفلات للتعارف بين شباننا وفتياتنا
في منازلنا وتحت رعاية آبائنا وأمهاتنا .

(٣) الثقافة الجنسية : — وهو العلم ليسوعه من زيادة قوة رشاش

أدركت الدول المتقدمة أهمية الثقافة الجنسية في حياة الفرد العامة
والخاصة فادخلتها ضمن البرامج الرئيسية في الجامعات والمدارس وذهبت
إلى أبعد من ذلك فاهتمت بإيجاد خبراء في المسائل الجنسية قدر اهتمامها
بإيجاد خبراء في الصناعة والزراعة والإقتصاد . واهتمت أيضا بعمل
إحصاءات في المسائل الجنسية ، فإذا رأيت أي انحراف جنسي بدأ يتحرك
في الشعب سارعت بالقضاء عليه وتطهير المجتمع منه .
وأمثله ذلك (١) .

وأجرت جامعة موسكو بحثا هاما لمعرفة البرود الجنسي وأسبابه
بين الفتيات وتبين أن ٤٣٪ مصابات بالبرود الجنسي ، ومعنى ذلك أن
٤٣٪ من يملن لعناء حياة زوجية سعيدة . وفي الحال جنسدت الدولة
الاطباء والخبراء وبدأت في العلاج .
وفي عام ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ قامت جامعة برلين بعمل إحصاء مماثل للتقصي
الموضوع فوجدت أن ٣٤٪ لا يسكرثن بالاتصال الجنسي و ٢٢٪ من
ينفون من هذا الاتصال . فما الذي حدث بهذا الإحصاء مباشرة ؟
جنسدت الدولة لاطباء وأبدأت في العلاج فوجدت أن بعض النساء في المقاطعات
وفي سويسره اكتشف المسئولون أن بعض النساء في المقاطعات

(١) أنظر كتاب هذا أو المؤلفان : الخالد محمد خالد رحمل ١٩٧٧ - ١٩٧٤ (١)

الشرقية يعانين بروداً جنسياً فعالجوهن . وحين وجدوا أن ٥٠٪ منهن
يجھلن الشبق جھلاً تاماً سارعوا بعلاجهن أيضاً ،

بجانب هذا انتشرت عيادات الإرشاد أو العيادات السيكولوجية
لعلاج الاضطرابات الجنسية التي قد تقع عند الشبان والفتيات . . . أجل
انتشرت تلك العيادات في الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا وسويسرة
وإيطاليا وغيرهم من الدول الأوروبية . وبكل عيادة طبيب نفساني وأحد
علماء النفس وباحثه اجتماعية وأخصائيون آخرون في التربية والتدريب
واللعب إلى غير ذلك ، وقد يجمع الشخص الأول في نفسه الطب البدني
والعلاج النفسي . وإلا فلا بد من وجود طبيب أخصائي ويدرس الطبيب
النفساني نفسية المريض وغمائزه وانفعالاته ووجداناته وجهته في الحياة .
أما الإخصائي في علم النفس فيدرس قدرة المريض العقلية ومواهبه الخاصة
والعامة والذكاء والتذكر ، والخيال . أما الباحث الاجتماعي فعملها أن
تدرس البيئة التي يعيش فيها المريض ، وتستطيع أن تتصل بأبيه وأمه
وجيرانه وأقرانه ، وتسألهم عن تاريخ حياته منذ الولادة حتى تستطيع
أن تعرف تاريخ حياة المرض ومصدره والظروف التي ولد فيها المريض
والتي ربي فيها ، وطبعاً تحاول معرفة أخلاق كل من الأب والأم وعلاقتهم
الواحد بالآخر إلى غير ذلك مما له تأثير على نشأة الطفل وحياته الحاضرة
والمستقبلية (١) .

(١) أنظر نفسية المراهق وتربيته — الدكتور رياض عسكر

هذا هو ما يحدث في البلاد المتعدنة . ثقافة جنسية في المدارس والجامعات . وتربية جنسية صحيحة للشعب .

ولكن مصر مازالت تحمل أهمية المسائل الجنسية في كيان الشعب فمنعت الثقافة الجنسية من مدارسها وجامعاتها . وللأسف الشديد لا يوجد في مصر عيادة سيكولوجية واحدة !!

ولعل علة منع الثقافة الجنسية من المدارس والجامعات ترجع إلى الخوف على الأخلاق العامة في المجتمع . وهذا الخوف لا مبرر له إذ لا يؤدي بحال من الأحوال إلى أي أضرار بالناحية الخلقية . ففي كلية الطب مثلاً تدرس الموضوعات الجنسية سواء من الناحية التشريحية أو من الناحية البيولوجية للطلاب والطالبات بشكل متوسع فيه ، ومع ذلك لم تؤد إلى تلك الأضرار التي يزعمها بعض الناس ، بل لعلها أدت ببعض الطلبة إلى الابتعاد عن نواح كثيرة ضارة بأنفسهم لم يكونوا ليفهموها لو لم تدرس لديهم .

ولقد أقر كثير من علماء التربية والاجتماع وأساتذة علم النفس بالجامعات المصرية بضرورة إدخال الثقافة الجنسية مدارسنا وجامعاتنا

لماذا ننتظر ؟

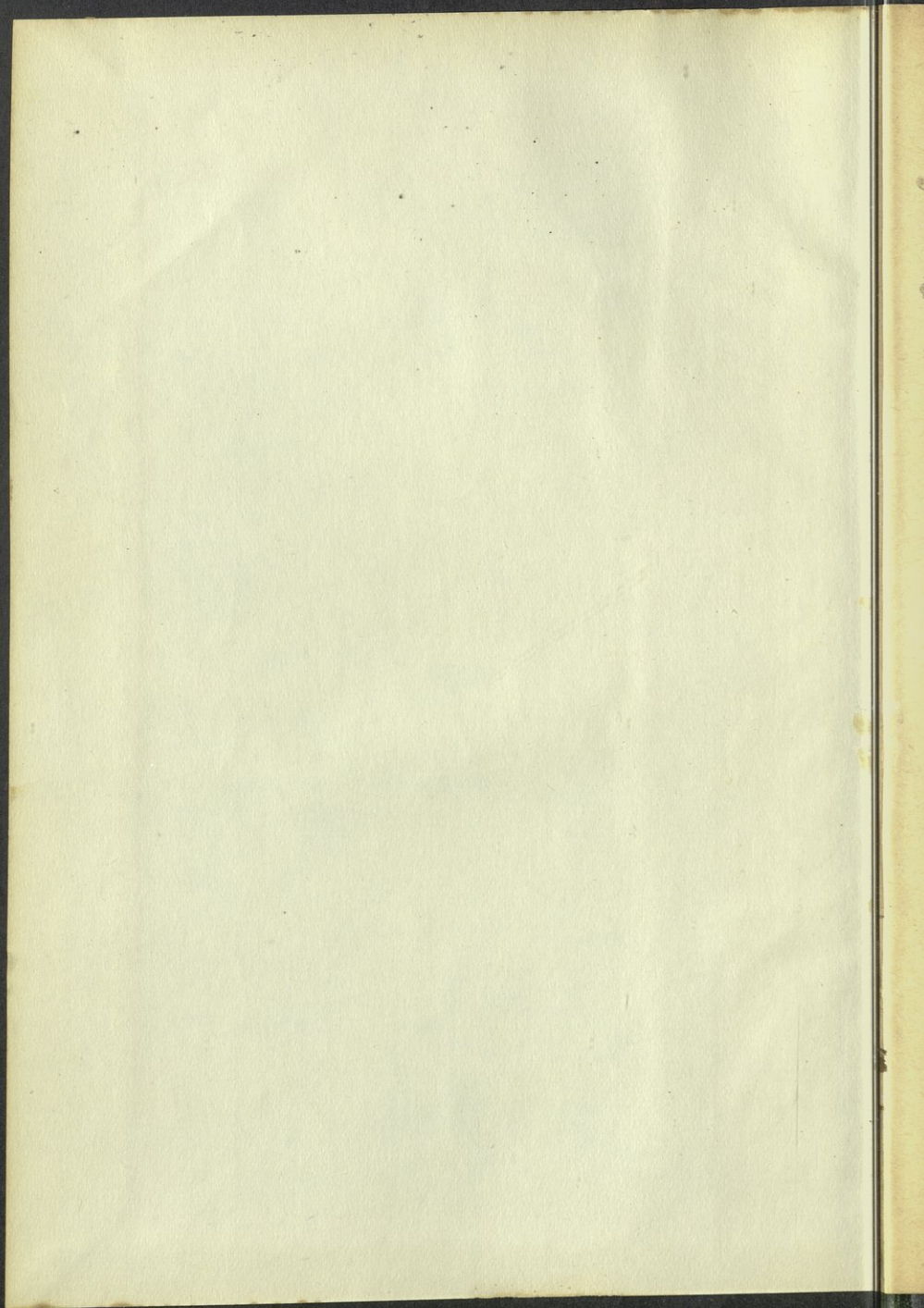
ان نشر المعرفة الجنسية بين شبابنا وفتياتنا يهدم أوكار الرذيلة ويرد سكينه النفس وسكينه العقل الى هؤلاء الذين يذهبون بحيرتهم وقلقهم الى الانحرافات الجنسية الخطرة .

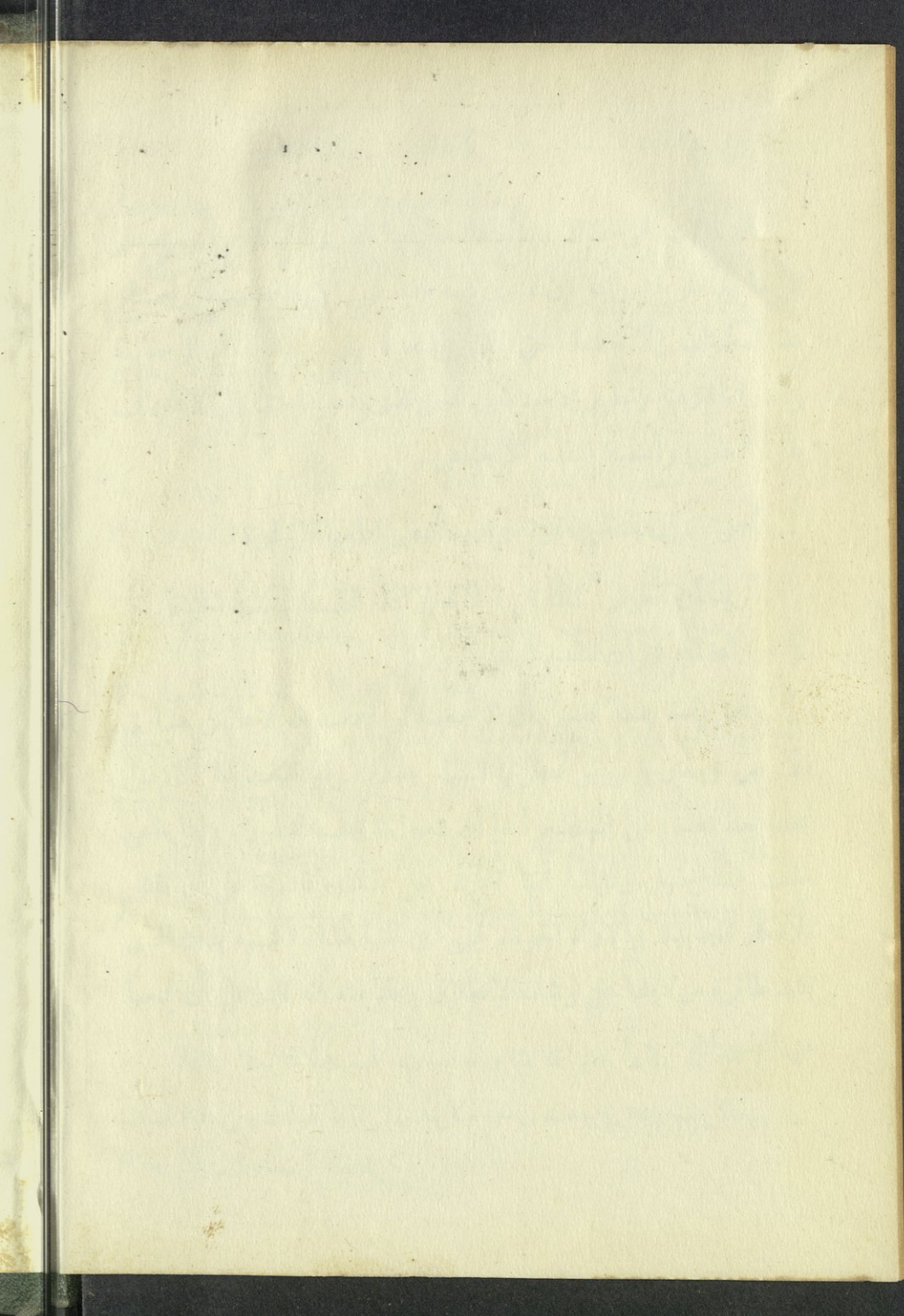
وبعد لما رآه فيمنحه فلقا. فقامت اكلبار في شجرة وانه

لقد انتهت الرحلة التي بدأناها معا أيها القاري الكريم، وسيمضي كل منا إلى طريقه. وإذا كان عندي كلمة باقية فهي أنني ما قصدت من إصدار هذا الكتاب إلا خدمة الحق الذي يدعونا إلى نبذ الأفسكار الرجعية والآراء المتزمتة وتطهير مجتمعنا منها. الحق الذي يدعونا نحيا إلى الاعتراف بقوة التطور وأهمية التقدم الاجتماعي.

بأجل أن إن للتطور قوة جبارة تنصف إيمانها لكل قوة لا يجوز أن لا أتريد أن تعرف لماذا؟. لأنه إرادة الطبيعة وسنة الحياة... لأنه إرادة الله في أن تتقدم البشرية وترتقي. وبحق بلدنا علينا تقسم أن الرجعية لو تجمعت فلولها من مشارق الأرض ومغاربها، ولو أمطرتها السماء مددا، ولو قذفت لها الأرض نجدة بعد نجدة، إن تستطيع أبدا أن تعوق زحف التطور. وإذا ما هي ظننت بسذاجتها وغيبائها أنها قادرة على ذلك وقادرة على أن تقتل الأفكار الجديدة والآراء الحرة، فهي في ظنها هذا، أشبه بذلك الذي يشد طائفة من ذيلها على وشك الإنطلاق؛ ظنا منه أنه قادر على أن يمنعها

من الطيران. إن لا أوسعه لتأليفه إن لم يكن في قيسنجيا فلهذا شئنا
رأى اهتمامه وشيخه بنوعه في شئنا ولا فلهذا راعا فتيكس وسفنا فتيكس
ة لمخنا قيسنجيا فلهذا شئنا





الهرميل : محمد

لن نرجع الى الوراء ابداً

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01012559

American University of Beirut



General Library

507.162-1321A